ضلالات الطريق

رؤية ناقدة لكتاب سيد قطب (معالم في الطريق)

د. محمد الصباغ



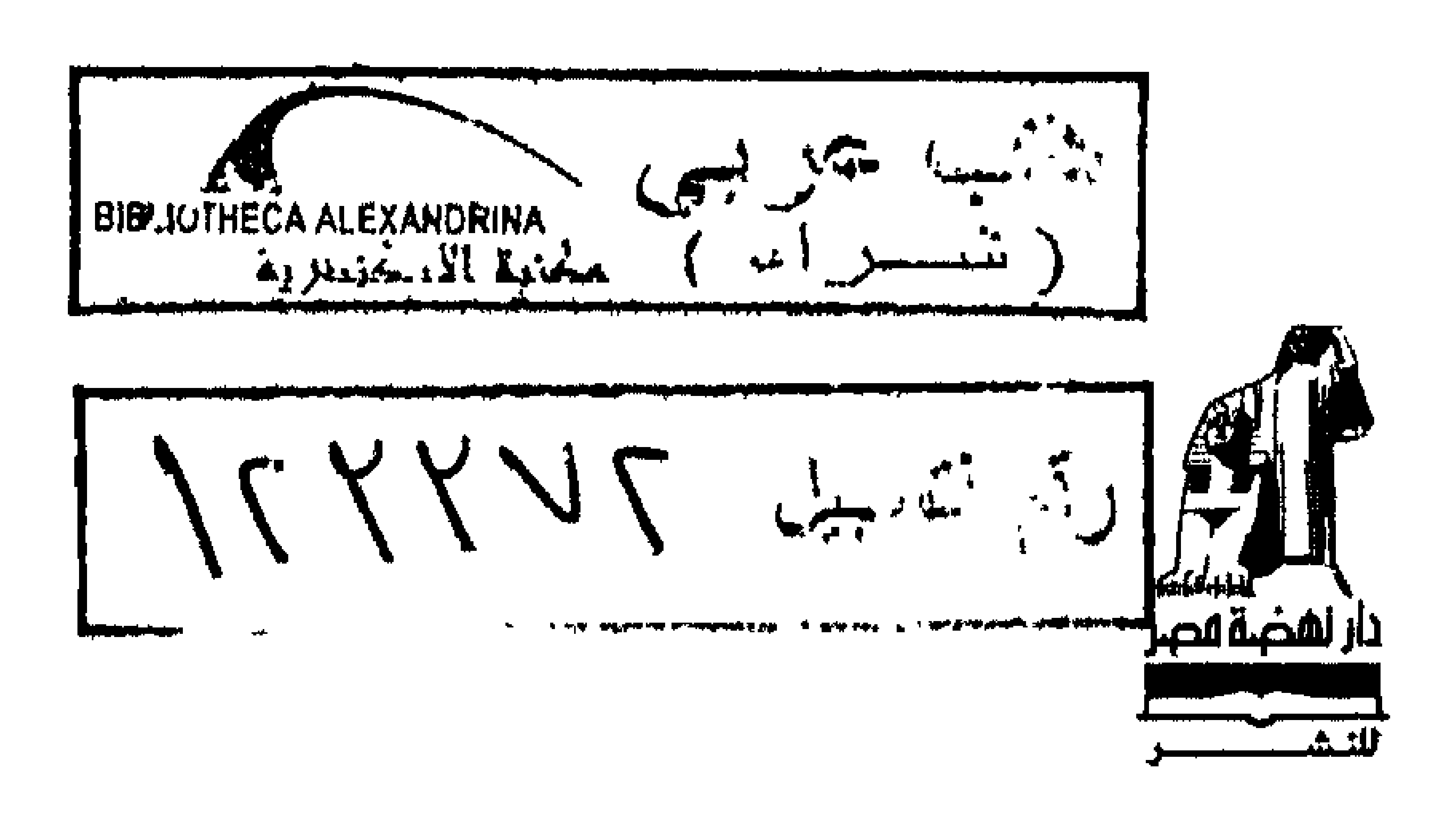
ضلالات الطريق

تأليف الدكتور

محمد الصباغ

رؤية ناقدة لكتاب سيد قطب

(معالم في الطريق)



العنوان:

ضلالات الطريق

تأليف

د. محمد الصباغ

إشراف عام:

داليا محمد إبراهيم

الترقيم الدولي: 978-977-14-5079-5
رقم الإيداع: 11713 / 2014
الطبعة الأولى: يناير 2015



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

ضـــلالات الطـريــق

المقدمة

يوم في حياتي

عشت أيامًا بعد ثورة 25 يناير 2011 وأنا أتحسس طريقًا في حياتي الجديدة، وقد تلمست خيوط هذا الطريق في كتاب سيد قطب (معالم في الطريق، دار الشروق، الطبعة الشرعية السادسة، 1979).

وقد توقفت كثيرًا عند (الطبعة الشرعية)، والحقيقة أن هناك من يدعي أن الكتاب الأصلي قد حُرِّف، وأن هناك كتابًا آخر غير هذا، ولو كان هذا صحيحًا لخرج للناس في غضون السنوات الثلاث الماضية في مصر، أو أنه سُرِّبَ لمكان آخر غير مصر، والأماكن في العالم كثيرة جدًّا ، وطبع فيها ونشر، والحق أقول إني لم أقف كثيرًا عند هذا .

وظننت أن طريقي في الحياة قد خط طبقًا لطريق الإخوان المسلمين، ورحت أقلب في صفحات هذا الكتاب، وقد نازعني عشق قديم لأيام الصبا، إذ كنت ملتزمًا بين شباب «الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة» في ستينيات القرن الماضي، ولكني فوجئت بعد قراءة بضع صفحات من هذا الكتاب! فالآراء التي يعرضها غاية في التشدد، تختلف اختلافًا كبيرًا عما قرأناه أو سمعناه فيما سبق، وبحثت دون جدوى عسى أن أجد معلقًا على

تلك الآراء، لذا فسأكون الناقد الحريص، بكل شرف الكلمة على مؤلف هذا الكتاب، بحيث أعرض بموضوعية وجهة نظره، ثم أعلق بها أراه، وللقارئ الحكم النهائي، وأرجو أن أكون منصفًا لصاحب هذا الكتاب مني، حتى لا أكون متعديًا عليه، وخاصة أنه في دار الحق عند الله سبحانه وتعالى، وأنا الآن في دار الباطل أنعم بحياة ملؤها التجدد والتناقض .

ولا أخفيك سرًّا أني واجهت اتهامًا بالكفر في حياتي الأولى، وسبب ذلك إما جهالة وإما ضيق أفق لمن تدنى مستواه في مجابهة الحوار الذي أمارسه معه، وقد كنت ذات مرة جالسًا -وأنا في السادسة عشرة من عمري- مع قريب لي تجاوز السبعين ويدعى الجد «غنيمي ليلة» وكنا نناقش مفهوم (العالم) في الدين، وجاء على لساني- على سبيل المثال - ذكر شيخ في قريتنا، نكن له كل تكريم وإجلال هو الشيخ «فاضل»، وهو شيخ أزهري درس حتى نهاية مرحلة «الليسانس» لذا فإنني لا أعتبره عالمًا، ما دام هو في مستوى الشهادة الجامعية الأولى، وتلك المرتبة لا يناسب معها في العلم صفة العالم، فقلت إن الشيخ «فاضل» ليس عالمًا.. مثل الشيخ «محمود شلتوت» أو الشيخ «عبد الحليم محمود» أو الشيخ «محمد متولي الشعراوي» وغيرهم كثيرون ممن لهم في العلم باع وفي الفقه نصيب .. أما خلاف ذلك فلا يعتبر عالمًا بل تلميذ علم، وعندما قلت للجد «غنيمي» إن الشيخ «فاضل» ليس عالمًا، إذا به يقوم من مجلسنا صائحًا في ساحة القرية (الجرن) ومهللاً: «يا أولاد البلد: محمد بيقول عن الشيخ فاضل إنه مش عالم .. إنه كفر»! وكثير من هذه المواقف التي يتهَم فيها المرءُ بالكفر، نتيجة لضحالة الثقافة وغياب المعرفة العلمية أو الدينية على حد سواء .

أما الآن وبعد ثورة 25 يناير 2011 والموجة الثانية من الثورة في 30 يونيو سنة 2013، فقد أدركنا من صنوف العلم والتحليل لأقوال منظري الإخوان المسلمين ما يؤكد هشاشة الموقف العلمي لهؤلاء، فأغلبهم سمع وقرأ كما سمعنا وقرأنا للشيخ «عبد الله العفيفي» والشيخ «محمود خطاب السبكي» بوصفهما المؤسسين «للجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة»، وكثير من شيوخ هذه الجمعية التقيناهم؛ نستمع لهم ونتجادل معهم حتى يتبين لنا الهدف الحقيقي من دعواهم، فمثلا: كان من بين دعاواهم:

..أن سرادقات العزاء حرام، ويجب الاكتفاء بالعزاء على المقابر، وينسب هذا الرأي للشيخ سيد سابق في كتابه «فقه السنة»، وتوصلنا بعد نقاش وجدال إلى أن إقامة السرادق تعتبر من العادات الاجتماعية..

فمن أطاع أو عصى فلا عقوبة ولا جزاء في الآخرة، فالعادات الاجتماعية لا تحاسب إلا بما يخالف الثابت بالضرورة من الدين، وناقشناهم و تجادلنا معهم أيضًا في: حرمة قراءة القرآن في المساجد.. والنتيجة التي توصلنا إليها أن المساجد دور للعبادة والذكر، وقراءة القرآن ذكر لله تعالى، ومن يعترض على ذلك ففيه مخالفة لدين الله الحق، فالمساجد مضاءة بنور قراءة القرآن، فأي مكان على وجه البسيطة يشرف بذلك، ومن هذه المواقف أيضًا.. اختلفنا مع الشيخ «عبد النصير فاضل» وكيل الجمعية الشرعية في ثمانينيات القرن العشرين، في قضية (ختان البنات) حول دليل معتبر من القرآن أو السنة، ولم نجد إلا أقوال الفقهاء على سبيل سد الذرائع أو حفاظًا على عادات اجتماعية فقط.

وهكـذا فإنه كثيرًا ما تطلق كلمة «الكفـر» على أناس دون جريرة إلا أنهم ضاقوا بحجاجهم وسـلامة منطقهم.. فإعلان الكفـر دليل على التهاوي في المواقـف .. وهذا نمط تعودنا عليه بألسـنة الإخـوة وعلى صفحات كتاباتهم منذ أيام مرشـدهم الأول «حسـن البنا» إلى «محمد بديع» مرورًا بالمنظِّر الأكبر «سيد قطب».. وهكذا سنعرض لكتاب (معالم في الطريق) وقضاياه الواحدة تلو الأخرى، عرضًا شـاملًا لتلك الأفكار، والتعليق عليها بما رأيناه مناسبًا لمعاني القرآن الكريم التي تجاوز آراء المفسرين من أمثال «حسن البنا» و«سيد قطب» ومن قبلهم وبعدهم إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

القضية الأولى

ضلالات الطريق

(رؤية جديدة لمعالم في الطريق)

إفلاس البشرية:

قال «سيد قطب»: «تقف البشرية اليوم على حافَة الهاوية ... بسبب إفلاسها في عالم (القيم) ... وهذا واضح كل الوضوح في العالم الغربي بعدما انتهت (الديمقراطية) فيه إلى ما يشبه الإفلاس، حيث بدأت تستعير وتقتبس من المعسكر الشرقي ما يعرف بـ(الاشتراكية) ... وكان المعسكر الشرقي أيضًا يتهاوى، وراح يبيع ما لديه من الذهب ليحصل على الطعام بسبب فشل المزارع الجماعية وفشل النظام الذي يصادم الفطرة البشرية». (ص3، 4).

أولًا : هل أفلس العالم الغربي منذ عام 1964؟

وهي في الحقيقة تثبت يومًا تلو اليوم أنها تستحق الحياة؛ لأنها بدأت في عام 1950 «أبحاث الفضاء»، في مؤسسة «ناسا الأمريكية» قبل أن يخط سيد قطب كلماته مبشرًا البشرية بالفشل والإفلاس.. فأين الإفلاس هذا؟ والذي تهاوى هو النظام القمعي للفاشية الماركسية في الاتحاد السوفيتي، كما

تهاوى حكم الإخوان الفاشي في مصر؛ لأنه قائم على تصور لا يستوعب الإنسان وحاجياته وطموحاته، والدليل أن روسيا الآن في موضع الصدارة، فالديمقراطية والاشتراكية هما من قيم العصر، والتي نادي بها الإسلام الحنيف منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فالشاعر أحمد شوقي ينشد مناديًا رسول الله يوم مولده – صلى الله عليه وسلم- قائلًا:

والدين يسر والخلافة بيعة	والأمر شورى والحقوق قضاء
الاشتراكيون أنت أمامهم	لولا دعاوى القوم والغُلَواء

ثانيًا: أي إفلاس للعالم الغربي؟ وقد تجاوزت الرأسمالية في أساليب معالجة المشاكل الاقتصادية وخاصة التي ترتبط بالعدالة الاجتماعية، و لجأت للمنظومة الاشتراكية في بعض الأحيان بما ساعد على مواجهة مشاكل العمال والمزارعين وغيرهم من بطش الحكومة .

ثالثًا: المزارع الجماعية نمط معمول به في كل النظم الرأسمالية والشيوعية والإسلامية والاشتراكية وأي نمط اقتصادي في المجال الزراعي.. لأن المزارع الجماعية علاج لمشكلة تفتيت الملكيات الزراعية على مستوى العالم... فكيف لها أن تفشل في نظر سيد قطب؟

رابعًا: الفطرة البشرية.. كيف تتصادم مع الرأسمالية أو الشيوعية أو المادية أو الروحية إلا إذا تجاوزت العقل؟ وأي فطرة فطر الله الناس عليها، والتي توجه بعقل يستوعب كل منتج حضاري سواء كان المادي أو الروحي أو الميتافيزيقي أو الفيزيقي، إن العقل بطبيعته يمكن أن يكون ماديًا

يقنع بالمادة.. أو روحيًّا يقنع بالروح ..أو عقلانيًّا يقنع بالاستدلال العقلي.. وزد على ذلك المذاهب النقدية، هل هذه جميعها ليست فطرة بشرية؟ وأي جهل هذا الذي ورطنا فيه سيد قطب متوهمًا أن الفطرة البشرية واحدة ولا غيرها، فيما زعم، وفي الحقيقة أنها فِطَرٌ بشرية وليست فطرة واحدة، قال تعالى: ﴿... ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (الشورى: 15).

قال سيد قطب: «إن قيادة الرجل الغربي للبشرية قد أوشكت على الزوال؛ لأن الحضارة الغربية قد أفلست ماديًّا وقيميًّا» (ص3)، وهذا تكرار لما قاله في السطور السابقة، والتكرار يعلم (......)، وهذا ما قصده سيد قطب، أن التكرار يجعل المستمع يركن ويردد ما قيل له، وهذا معروف عند الإخوان بالسمع والطاعة، ولا مكان عندنا لهذا السمع وتلك الطاعة؛ لأننا عقلاء ونميز، وكان على المفكرين العرب والمسلمين بما لديهم من دين يسمح ويشجع على العلم أن يكونوا هم قادة هذا العالم، ولكن للأسف الشديد وقفنا عند الألفاظ والعبارات؛ ندور حول معانيها فقط وراحت الدنيا وربما الآخرة، ونحن نتجادل في معانٍ وألفاظ ما وعيناها ولم نستفد منها بالقدر الذي عظمناها به في حياتنا، وصدق قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ...﴾ (الجمعة: 5).

النهضة العلمية في أوروبا (إلى زوال):

قال سيد قطب: «لقد أدت النهضة العلمية دورها مع عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي ووصلت إلى ذروتها خلال القرن الثامن عشر ولم تعد تملك رصيدًا جديدًا» (ص4).

أقول: أي إدراك هذا؟ وأي نمط عقلي يمكن أن نحترمه؟ إن الحضارة الغربية ما زالت تنعم بالمصداقية؛ لأنها تثبت سنة بعد أخرى ولحظة تلو لحظة أنها تستحق أن تكون الحضارة الإنسانية بشكل رائع، والنصف الثاني من القرن العشرين فيه أبحاث الفضاء، وفي نهاية القرن العشرين كانت ثورة الاتصالات والإنترنت.. إنها تعلن للإنسان، بما أنه إنسان، أن الحضارة الغربية أحق بالوجود.. وأن المتمسحين واللامدركين لمعنى الحضارة من أمثال سيد قطب تجاوزهم الزمان وأزبل عليهم لأنهم لا يقرءون تاريخ العلم ولا يدركونه، هل توقف المسلم عند العويل والنقد للحضارة الغربية؟ وماذا صنع حتى يكون له مكان في هذا العالم، حتى لو زالت الحضارة الغربية فما مصيره هو بعد ذلك؟ والميتم الإخواني منصوب لكل الناس .

الوطنية والقومية (معاول لهدم الدولة الإسلامية)

قال «سيد قطب»: «كذلك أدت (الوطنية) و (القومية) التي برزت في تلك الفترة دورها خلال هذه القرون ولم تعد تملك هي الأخرى رصيدًا جديدًا» (ص4).

أقول لـ (سيد قطب): يبدو أن عجلة التاريخ توقفت عندك بحيث تكرر مصطلحات عفى عليها الزمن في أيام «حسن البنا».. والذي قال : «إن معنى الوطنية ينقسم إلى:

1- وطنية الحنين ..أي حب الوطن، وذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة ومأمور به في الإسلام من جهة أخرى، .. وأنا أوافقه في هذا المعنى من معاني الوطنية.

2- وطنية الحرية والعزة، وهي وطنية تدفع صاحبها ليدافع عن حرية وطنه ويذب عنه كل متربص به، .. وأنا أوافقه أيضًا على هذا المعنى ولكني لا أفهم معنى الآية 141 من سورة النساء ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وأي كفر وأي إيمان نتحدث عنه هنا، ونحن في معالجة قضية الحرية والكرامة والحقوق في مكافحة الاستعمار، وآخر أشكاله الاستعمار العثماني باسم الدين والاستعمار الفرنسي والإنجليزي باسم التحضر والرقي، وأي شكل استعماري تجاوز معنا على هذه الأرض الطيبة مصر.

3- وطنية المجتمع، وهي وطنية تربط بين أفراد القطر الواحد ويراها الإسلام فريضة لازمة، ولم يفرق بين مسلم وغيره، والأمثلة على ذلك كثيرة في حياة النبي ﷺ ولكني لا أفهم استخدام «حسن البنا» لقول القرآن في (آية 118 آل عمران) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾.

ولا يشير أحد من المفسرين لهذه الآية - على كثرتهم - لما قصده «حسن البنا»، إلا أنه يحاول شق بناء المجتمع المسلم الحقيقي - على أساس أنه ومن معه هم المؤمنون ومن ضده هم الكافرون - والمجتمع المتكامل قائم على هذا الاختلاف، فالاختلاف طبيعة بشرية، ورب العزة قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ (الحجرات: 13)، وهكذا خلق الإنسان.

4- وطنية الحزبية .. أي أن الوطنية التي تقسم الأمة إلى طوائفَ تتناثر وتتراشق بالسباب وتترامى بالتهم ، ..ولا أظن أن معاني الديمقراطية في كل المجتمعات قسمت المجتمعات إلى فرق وطوائف وأحزاب متناحرة بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة .. ولكنها مختلفة سياسيًا .. وهذا مقبول منها، وليس مستهجنا ..لأن الأحزاب تختلف برامجها، وكل حزب يحاول أن يأخذ نصيبًا من السلطة في المجتمع سياسيًّا وليست سلطة دينية أو غيرها من السلطات في المجتمع، فالمختلف معي في التوجه السياسي قد لا يختلف معي في الدين، وإلا كانت رؤية عمر ﵁، وهي مختلفة عن رؤية أبي بكر الصديق ﵁ في السياسة يمكن أن تفسر دينيًّا، فأي منهم يمكن أن يصنف بين الكفر والإيمان؟ لذلك فإن هذا التصنيف للمجتمع تصنيف حزبي ممقوت قصده «حسن البنا» ومشى على هذا الدرب «سيد قطب» باعتبار ذلك عراكًا دينيًا وليس عراكًا سياسيًّا، ومن ثم فالجهل والكفر مكان من خالفهما.

نداء الصهاينة (الإخوان) في مصر وفلسطين إلى العالم أجمع

يذكر «حسن البنا» في مجلة الإخوان (العدد 260 السنة الثالثة 28 يونية 1945) مبشرًا بفكره الصهيوني قائلًا: «وحدوا صفوفكم واقصدوا هدفكم بقلب واحد وقوة واحدة وانسوا أشخاصكم ، واعلموا أن هناك شخصًا واحدًا تفنى فيه ومن أجله أشخاصكم ، ذلك هو الوطن، هو مصر وشقيقاتها، وإنها فرصة غالية إذا أفلتت فلن تعود»..

والفاحص لأحداث التاريخ يدرك أن الإخوان يتحدثون عن مكان آخر غير الوطن، وعن وطن آخر غير مصر، مهما قالوا إن الواحد الذي تفنى فيه أشخاصكم هو (مصر)، هل يقصدون (مصر) الوطن الذي يعيش فينا؟ أم يقصدون شيئًا آخر؟ وماذا قصد من (شقيقاتها)؟ هل يعني الأقطار الإسلامية الموجودة الآن؟ أم نفرًا من هذه الأقطار؟ ثم ما هذه الفرصة الغالية التي تتوحد صفوفنا وأهدافنا عليها؟ هل هي فرصة متمثلة في عقل «حسن البنا» ولا ندري عنها شيئًا؟ أم أنها فرصة الخلافة الإسلامية الجديدة كما ادعاها «حسن البنا» للملك فاروق؟ لأن هذه الفرصة التي لن تعود، هي فرصة الملك فاروق والإنجليز في شق الأمة المسلمة، على أساس أنها زرعت فيها جماعة الإخوان المسلمين، حتى تنهي هذه الأمة نهاية حاسمة، كما فعل الإنجليز في فلسطين العربية الإسلامية، بزرع الكيان الصهيوني فيها بوعد بلفور 1917 . والإنجليز هم أصحاب الفضل الأكبر في نشأة جماعة الإخوان المسلمين، بزعم أنهم مسلمون وحريصون على الإسلام، كما حرص الإنجليز على الإسلام فيما سبق، وإلا لما كان «لحسن البنا» سنة 1945 أن يقول إنها الفرصة التي يجب ألا تفلت .

وقال «حسن البنا» في خطبة (منى) أثناء رحلة الحج 1945 : «إننا سنجاهد في مصر وإن إخوانكم في فلسطين قد وطدوا العزم على أن يعيشوا، وإن إخوانكم في سوريا يجاهدون، وإن إخوانكم في إندونيسيا يبذلون الدم في سبيل الله، وفي المغرب أعلنوها صرخة داوية».. أي أن الحجاز والعراق وكل الأقطار العربية والإسلامية ليسوا على النهج كما ذكر «حسن البنا» في نداء الإخوان، وكان «حسن البنا» يقصد التنظيم الدولي في هذه الأقطار

المحددة سلفًا .. ومن أجل ذلك قال مرشد الإخوان «السيد عاكف» بتعبيره «طظ»؛ أي أنه «طظ في مصر».

الخلاصـــة:

يتضح أن «سيد قطب» شخَّص المشكلة؛ في أربعة معالم متوهمة في عقله، هي :

1 - أن البشرية اليوم على حافَة الهاوية.

2 - أن الديمقراطية أعلنت إفلاسها السياسي والاقتصادي ومعها الشيوعية، وأن الرأسمالية لأنها من قبيل المساندة للإخوان لم يصبها العطب حتى الآن .

3 - أن الحضارة الغربية قد أدت ما عليها ولم يعد لها دور في حضارات العالم.

4 - أن الوطنية أو القومية الآن في طيات الأكفان .

هذا هو العقل الإخواني عام 1964، ولكن التاريخ والعلم والوطنية والدولـة الحديثة تقول للناس ومعهم الإخوان، إنكم على خطأ فاحش، لأن الحضارة الغربية ما زالت تسجل إنجازاتها حتى اليوم وغد وبعد غد إن شاء الله، وأن الدولـة الحديثـة تثبت لكل عصر أنها تقوم عـلى الوطنية والقومية، والديمقراطيـة بكل فخر هي الوسـيلة الأكيدة للحرية في هـذا العالم، وإذا كان للإسـلام مـكان في هذا العالم فيجب أن يحتـوي كل هذه المعاني الحديثة، ويضيـف إليهـا برؤيته للعالم المفتوح، لا أن يجعل بينـه وبينها عراكًا لا محل له أصلًا .

ومع فشل مشروع 1945 بحيث انكشف الزيف عندما أدرك الإخوان أن فرصتهم الغالية قد أفلتت، وأن الملك قد زال عرشه ، وأن الإنجليز قد رحلوا بلا رجعة عن أرض مصر الوطن ، رغم أن الإخوان كان لهم حديث المؤامرة على الثورة مع الإنجليز قبل أن يرحلوا، وفي سبيل الجلاء عن كل بلد مغتصب حتى سنة 1964 ، وأدرك «سيد قطب» أن الفرصة قد لا تعود، فراح يندب حظه بأقوال لا معنى لها في التأصيل إلى دولة خيالية .. كما تعود في الأدب عن دولة يوطوبية (كجمهورية أفلاطون) أو (المدينة الفاضلة للفارابي) يعيش فيها الإخوان المسلمون، تستوعب خيالهم وأحلامهم، فلا دولة ولا مجتمع ولا قبيلة يمكن أن تكون للإخوان، إلا في نمط استعماري كإسرائيل، كما فعل الصهاينة من قبل .. فقد حصل اليهود على دولة عربية أصَّلوا لها من قبل، لكي تكون دولة يهودية أمام أعين الإخوان المسلمين، ومن تآمر معهم في إقامة الخلافة سنة1945 ، وكنت أظن أن القضية الكبرى للإخوان كما يزعمون في نصرة القدس وفلسطين، لكن للأسف الشديد أن من الفلسطينيين إخوانهم (أي الإخوان المسلمين) من قد قبلوا هذا الوضع دون ثورة ودون جهاد، الإخوان في فلسطين «قد وطدوا العزم على أن يعيشوا» مع ضياع دولة فلسطين والقدس الشريف .

إن تصور «سيد قطب» للإسلام أنه جاء بمنهجه وقيمه ليؤسس دولة إسلامية، وأن العقيدة الإسلامية تمحورت في دولة (الخلافة) وليست لإنسان مسلم ..وانمحت معاني العقيدة مع إطار الدولة الإسلامية ، لذلك استخدم آيات القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 30) وقوله أيضًا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: 56)، للتبشير بدولة إسلامية، مع أن الخطاب في الآية الأولى موجه للملائكة، وفي الآية الأخرى موجه إلى الجن والناس أجمعين، ولا علاقة حصريًا للمسلمين بأشخاصهم، أما قوله سبحانه في الآية التي اعتمد عليها «سيد قطب»: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: 110)، و قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: 143)، هذه الآيات تخاطب المسلمين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .. في إطار الوسطية، والشاهد عليهم رسول الله ﷺ، فأمة الإسلام كما ذكرت هذه الآيات أمة وليست دولة.. وإنها عقيدة وليست جماعة.

لأجل ذلك أعلن: «سيد قطب» أنه يعترض على هذه الأمة بقوله: «لا يعقل أن تكون أمة الإسلام كما تصورها عقيدة مجردة .. وإنما الأمة المسلمة جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازينهم كلها من المنهج الإسلامي» (ص6)، فالرجل يقول: إن هذه الأمة ... ليست عقيدة مجردة ولكنها موجودة بالفعل ، ويشير إلى أنها كانت موجودة تحت رعاية الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، مع أن الدولة قد اختلفت واقعًا، فخلافة أبي بكر رضي الله عنه، تختلف عن خلافة عمر رضي الله عنه، وعنهما خلافة عثمان رضي الله عنه ..وعن الجميع خلافة علي رضي الله عنهم جميعًا، ومن بعدها تحولت الدولة والمجتمع والخلافة و الأمة، وربما أقول طبيعة الدين في خلافة معاوية ومن تلاه من الخلفاء حتى الخلافة العثمانية ، وكأننا نتكلم عن دولة بلا دين وبلا قيم وبلا موازين وبلا أوضاع وبلا تصورات.

وهكذا فإن «سيد قطب» برهن دون قصد على أن الدولة الإسلامية ما كان لها وجود إسلامي حقيقي، وكان على «سيد قطب» أن يبشر بإنسان مسلم وبعقيدة إسلامية، قبل أن يقيم الدولة أو الخلافة؛ لأن النبي ﷺ مكث في مكة يبني الإنسان المسلم أكثر من ثلاث عشرة سنةً والرسالة عمرها ثلاث وعشرون سنة، فإذا كان النبي ﷺ قد استغرق أكثر من نصف المدة في بناء الإنسان المسلم، والنصف الآخر في بناء المجتمع المسلم، فكان يجب على «سيد قطب» أن يبذل أكثر من ذلك في بناء الإنسان المسلم، أما الدولة أو السياسة فلا مكان لها ولا قيمة لها مع إنسان لا يعلم القيم ولا يحافظ عليها ولا يعلم العلوم التجريبية ولا يؤصل في إبرازها أو التمسك بها ولا يعلم عن التاريخ إلا ما زيفه لنا كتابات «سيد قطب» و«حسن البنا» وقبلهما كثيرون ممن زيفوا حقب التاريخ، لذلك فإن أمة لا تقوم على علم بالتاريخ بل هشاشة في الدين والقيم، كيف بنا أن نثق بوجودها إلا في خيالنا وأوهامنا؟ إنها أمة أوهام تحيط بأوهام وتسبح في أوهام، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا... ﴾ (النور: 39).

القضية الثانية

جيل قرآني فريد

إن هذا العنوان في كتاب (سيد قطب) يبشر بأن: «هناك ظاهرة تاريخية ينبغي أن يقف أمامها أصحاب الدعوة الإسلامية في كل أرض وفي كل زمان»(ص11)، وذلك افتتاح جيد لرصد ظاهرة تاريخية تتحدث عن عصر بعثة النبي الخاتم، ونزول القرآن الكريم عليه، والعترة الطيبة من أصحاب رسول الله ﷺ.

القرآن وحده هو نبع الثقافة:

أخبرنا (سيد قطب) أن جيل الصحابة الكرام جيل فريد، وأن النبع الأول والوحيد لثقافتهم ووعيهم بالدنيا والحياة،: «الذي استسقى منه ذلك الجيل هو نبع القرآن وحده». (ص12).

هذه الصحبة كما يراها (سيد قطب) محكوم عليها بأنها لم تدر عن أخبار الأمس شيئًا، رغم أنهم جميعًا تجاوزوا السن القانونية، وجميعهم تجاوز مرحلة الزواج ، وجميعهم كان لديه أطفال وربما كان لديه أحفاد ، فسيدنا «أبو بكر» وسيدنا «عمر بن الخطاب» وسيدنا «العباس» رضي الله عنهم

جميعًـا، والعفيفـة الطاهرة السـيدة «خديجة بنت خويلـد» تزوجها النبي ﷺ وهـي في سـن الأربعـين، ونزل القرآن وهي في سـن الشـيخوخة ، وأنجبت للنبي ﷺ القاسـم وعبد الله وقد توفيا وهما صغيران، وأنجبت زينب ورقية وأم كلثـوم وفاطمـة رضي الله عنهـم جميعًـا، و توفاهـا الله وهي في الخامسـة والسـتين، فكيف لهؤلاء أن ينسـوا تاريخًا وعائلة وثقافة تأصلت في جلدتهم قبل قلوبهم؟

(ولم يدرك سيد قطب أن السنة النبوية من أقوال وأفعال وتقريرات كانت معروفة للمسلمين جميعًا، وخاصة الصحابة منهم، والتزم الناس بها، ولم تكن مسـجلة في صحائـف، وذلك خلافًا لما اتبـع مع القرآن ، عملًا بقول رسـول الله «لا تكتبـوا عنـي»، أما بعد أن ارتفعت روح الرسـول إلى بارئها بأكثر من مائة وخمسـين سـنة، فقد كتبت السـنة، وفيها ما فيها مـن الصحيح والمنحول والضعيف وغير ذي الأصل... إلخ إلخ؛ لذا كان على الإخوان وفي مقدمتهم (حسـن البنا) و(سـيد قطب) أن ينتهزوا أقوالا – عليها ألف ألف اسـتفهام – في إبرازهـا والتسـويق لها على أنها من صحيح الديـن ، والحقيقة أنها تفرق ولا تجمـع، وتهدم ولا تبني ، وتدعو للقتـل والإرهاب، ولا تقدم للناس دينًا سـمحًا يقيم الحضارة ويبشر المسـلم بمسـتقبل يتمتـع فيه بالمحبـة والامتياز بعلمـه وأدبـه ورقيه بين الناس، كما علمنا رسـول الله ﷺ في حديث السـيدة عائشة عندما تقول عن أخلاقه ﷺ **«كان خلقه القرآن»** و**«أنه قرآن يمشي على الأرض»** . والآية الكريمة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ (آل عمران: 159) وهي مدنية ، حتى ينتبه الإخوان لها).

الحضارة إنسانية والإسلام جزء منها.

ثم يقول (سيد قطب) أيضًا: «كان القرآن وحده هو النبع الذي يستقون منه ويتكيفون به ويتخرجون عليه (ص12)، وكأن آيات القرآن تبيان تفصيلي لكل حركات المسلم من أول أن تطلع عيناه على الدنيا حتى يغيب في عالم النسيان، هل القرآن فيه تفصيل لكل شيء؟ ولا أظن أن هذا التفصيل موجود في آيات القرآن، زد أن القرآن فيه قصص الأنبياء ودياناتهم؛ مما أكد للمسلمين أن هذا القرآن يذكر الأولين من الأقوام والرسل والأنبياء، ما يثبت به فؤادهم، لأن فيه خبر ما قبلهم».

كذلك فإن (سيد قطب) قال: «إن البشرية كانت عندها حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذي لا تزال أوروبا تعيش عليه ، أو على امتداده، وكانت هناك مخلفات الحضارة الإغريقية ومنطقها وفلسفتها وفنها ، وهو لا يزال ينبوع التفكير الغربي حتى اليوم، وكانت هناك حضارة الفرس وفنها وشعرها وأساطيرها وعقائدها ونظم حكمها كذلك ، وحضارات أخرى قاصية ودانية، حضارة الهند ـ حضارة الصين إلخ..» (ص13).

و قد أقر (سيد قطب) بكل هذه الحضارات ولم يذكر أهمها - الحضارة المصرية - فالقرآن الكريم ذكرها بشيء من التفصيل، ألم يسمع أو يقرأ في آيات القرآن عن: «قارون» و«موسى» و«هامان» و«فرعون»؟! وهي أكثر من سبع وسبعين آية في القرآن الكريم، كلها تكلمت عن آل فرعون وفرعون، كيف يسقط من ذاكرته هذه الحضارة الأولى للبشرية؟ الحضارة التي قدمت التوحيد الأول، فإذا كنا موحدين الله فإن المصريين الأوائل عبدوا إلها واحدًا

ثم اليهودية ثم المسيحية ما كان لها أن تسمع إلا في مجتمع حضاري متفوق على البشرية جميعها بأكثر من سبعة آلاف سنة حضارة؛ علمت العالم كله كيف يكون الدين والعلم والفلسفة والقيم وكل شيء.

الواحد المطلق وليس الواحد العدد:

ولكن (سيد قطب) يجعل القرآن هو المصدر الأساسي والرئيس لتصورات وأحلام ومنهج صحابة رسول الله ﷺ، فيقول: «هناك قصد من رسول الله ﷺ أن يقصر النبع الذي يستقي منه ذلك الجيل في فترة التكوين الأولى على كتاب الله وحده ... وأن رسول الله ﷺ غضب عندما رأى عمر رضي الله عنه يستقي من نبع آخر؛ أي أن رسول الله ﷺ قال لعمر عندما وجد صحائف عيسى بين يديه.. أما كفيت ؟» (ص13) وكأن الرسول يؤصل لمنهج واحد هو القرآن .. رغم أن القرآن نفسه في آيات وسور تحدث عن أنبياء الله ورسله ونبهنا إلى أن نؤمن بأنبياء الله ورسله إيمانًا صحيحًا حتى نؤمن بالإسلام حقًّا، وذكرت آيات القرآن وسوره قصص الأنبياء ودياناتهم، ولا شك في أن رسول الله ﷺ قدم في القرآن خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا بشكل متجرد حتى إن آيات القرآن الكريم طرحت الرؤى المختلفة من أصحاب الديانات الأخرى أو الكفار وكأن العرض المنهجي للحوار بين الأديان كان محله القرآن، فما بال من أيقن هذا الحوار متجسدًا من أحوال المتحاورين في أقصى الأرض وأدناها ما حكته صحائف التاريخ .

علماء التاريخ والتفسير والفقه مسئولون عن انحراف المسلم:

وما زال (سيد قطب) يتحفنا بقوله: «إن هذا الجيل الذي تخيله يستبعد كل كتب التاريخ والتفسير والفقه وغيرها، والتي ساهم كثير من الصحابة

والتابعين وتابعي التابعين فيها بأقوالهم.. «الذي حدث أن اختلطت الينابيع بحيث استقت الأجيال التالية فلسفة الإغريق ومنطقها، وأساطير الفرس وتصوراتهم، وإسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى، وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات، اختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم وعلم الكلام، كما اختلط بالفقه والأصول أيضًا، وخرج على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل، فلم يتكرر ذلك الجيل أبدًا» (ص14) وكان على علماء التاريخ أن يبدءوا تاريخ الإسلام من الآن - سنة 1964 - فلا تفسير ولا فقه ولا علم كلام ولا أي شيء من الخبرة الإنسانية والدينية، وكان على المسلمين الآن - كما يرغب (سيد قطب) أن يبدءوا من «الزيرو»، أو من صحائف بيضاء، لا خبرة لهم، وكأن القرآن نزل على قوم غفل، والأحاديث تعلمها جهلة لا يدرون عن أمرهم شيئًا، والصفحة الأولى هي القرآن وليس قبلها صفحات وآلاف الصفحات من الديانات والحضارات والعلوم السابقة، وقد نسي أن الآية الأولى في القرآن الكريم تقول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ...﴾ (سورة العلق، الآيات 1 : 5).

وتصور (سيد قطب) أن القرآن عندما نزل علم الناس ألف باء الحياة، رغم أنه ذكر في كتب التاريخ والديانات السابقة أن الأحبار والكهان قالوا: إن هذا الزمن سيظهر علينا نبي هذه الأمة، بحيث تبارى المثقفون والشعراء في كتابة نصوص وأشعار تقترب من حيث الشكل أو معاني الآيات التي نزلت على نبينا العظيم ﷺ، مثل ما قاله: «أمية بن أبي الصلت» وغيره كثيرون، وعندما عاد النبي ﷺ من غار حراء يشكو إلى السيدة «خديجة»

مـا أصابـه ذهبت لابن خالتها «ورقة بن نوفـل» وقصت عليه حكايته، فقال – وهـو الحكيم العارف–: إن هذا هو الناموس الذي أنزل على موسـى عليه السلام، وشـأن العارفـين والقارئـين والمسـتوعبين للديانات القديمة سواء اليهوديـة أو النصرانيـة أن بـشروا بقدوم النبـي العظيم، قـال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ ...﴾ (البقرة: 146).

القرآن فيه ثقافة وعلم وفن وإمتاع:

لكـن (سـيد قطـب) يدلـل عـلى أن القـرآن نـزل بحيـث يـمارس في الحياة أوامر ونواهِيَ؛ أي افعل ولا تفعل، فالقرآن كتاب «كتالوج» لإنسـان آلي يسـمع ويطيـع ..ولا عقـل ولا تصـور ولا حلـم ولا رأي ، .. رغـم أن القرآن الكريم حوى من بين ما حوى أوامر ونواهيَ ..قصصًا وقيمًا وأخلاقًا، كـما قدم القـرآن نماذج لمجادلة أصحـاب الفكر والنُّهـى؛ لأن القرآن ما نزل إلا لأقـوام عاقلـين لهـم خـبرة ..ولهم تاريـخ ..حتـى يميزوا بـين ماضيهم وحاضرهـم ، و(سـيد قطـب) يقـول: «إن الجيـل الأول لم يكونـوا يقرءون القـرآن بقصد الثقافة والاطلاع ولا بقصد التذوق والإمتاع؛ لم يكن أحدهم يتلقى القرآن يسـتكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة ولا يضيف إلى حصيلته مـن القضايا الفقهية محصولًا يملأ به حصيلتـه، إنما كان يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شـأنه وشـأن جماعتـه التي يعيش فيهـا»(ص14)، فكيف لـه أن يسـتوعب قصـة ابن المغيرة عندما سـمع القـرآن الكريم يقـول قولته المشـهورة : «إن هـذا القرآن يعلـو ولا يعلى عليه وإن أعلاه لمثمر وإن أسـفله لمغدق وما هو من قول بشر...» (عبقرية محمد للعقاد).

الجهالة أفعال وتصرفات «نهى الإسلام عنها»:

الجدير بالانتباه والتسجيل أن (سيد قطب) توهم أن «الرجل حين يدخل في الإسلام يخلع على عتبته كل ماضيه من الجاهلية .. منفصلاً كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية وكأن الإنسان في عزلة شعورية كاملة بين ماضيه في جاهليته وحاضره في إسلامه ... حتى لو كان يأخذ من بعض المشركين ويعطي في عالم التجارة والتعامل اليومي، فالعزلة الشعورية شيء والتعامل اليومي شيء آخر» (ص17)؛ وهو يبشرنا باثنتين: إما الانفصال عن الحياة كلها (العمل أو الزوجة أو الأولاد أو المال)، وهذا أمر لا يعقل ولم نره في حياة النبي ﷺ ولا الصحابة الكرام، وإلا لما كانت الغزوات الأولى كبدر إلا انتقامًا ممن استولوا على أموال المسلمين المهاجرين الأول، أما الأخرى فإنها تقية شعورية في أهل السنة والجماعة تجعلنا ننفصل عن الحياة التي نعيشها حتى لو كنا نتكسب منها أرزاقنا، ثم أيضًا الانفصال الشعوري الذي يؤدي إلى الغربة في عالم الفكر والاجتماع وكأن الإنسان غريب غربة خاصة وغربة عامة .

فالإنسان في تصور(سيد قطب) «يعيش اليوم في جاهلية؛ الجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلي، فتصورات الناس وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم ورواد ثقافتهم وفنونهم وآدابهم وشعائرهم وقوانينهم حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية ومراجع إسلامية وفلسفة إسلامية وتفكيرًا إسلاميًا، هو كذلك من صنع هذه الجاهلية» (ص17، 18)، وفي النهاية على الإنسان أن يعيش في عالم تخيلي، قرآنه بلا تفسير، وحديث رسول الله ﷺ بلا علوم السنة، والأمة بلا نبي إلا (سيد قطب) وتعيش في جهالة، فأي مجتمع هذا؟ وأي جهل بالدنيا والآخرة على هذا النحو؟

الإخوان بين الإصلاح والتكفير:

ويعلن (سيد قطب) أنه «ليست مهمتنا أن نصلح من واقع هذا المجتمع الجاهل، ولا أن ندين بالولاء له، فهو بهذه الصفة - صفة الجاهلية - غير قابل لأن نصطلح معه» (ص19)، ونسي قول الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: 1)؛ أي أن الرسالات جميعها جاءت من أجل أن تهدي الناس إلى الصواب وإلى الله، والقرآن خاتمة جميع الرسالات الهادية، لكن الإخوان يرون أن هذا المجتمع الذي نعيش فيه والنظام الذي ننعم به لا يعني عند (سيد قطب) وطنًا ولا نظامًا ولا أي شيء؛ لأنهم ليسوا أصحاب فكر إصلاحي للوطن وللمجتمع، ولكن هذا التنظيم الإخواني كل مهمته هي الانتهاء أو التدمير لهذا المجتمع ، واعتباره جاهليًا ويجب القضاء عليه ، «إن أولى الخطوات في طريقنا هي أن نستعلي على هذا المجتمع الجاهلي وقيمه وتصوراته» (ص19).

وعندما تجد واحدًا من كوادرالإخوان يقول إنه يتعالى على المسلمين من خارج الجماعة ، فاعلم أن هذا هو طريقهم وتلك شيمتهم؛ لأنهم آمنوا بعقيدتهم أن المسلم هو من آمن بطريقتهم، وغير ذلك جاهلي يجب التعالي عليه، «وألا نعدل نحن في قيمنا وتصوراتنا قليلًا أو كثيرًا لنلتقي معه في منتصف الطريق، كلا إننا وإياه على مفرق الطريق» (ص19)، ومن هذا التصور ينطلق الإخوان بعدائهم للمجتمع بحيث ينفصلون عنه ويعيشون في غربة سواء في السجون أو في الصحراء أو في حواريهم وأزقتهم، في غياب عن المجتمع، لا يرجون له إصلاحًا، ولا يتمنون له نهضة ، فالمجتمع والإخوان على مفرق طرق .

ونحـن نتعجـب مما حصـل، كانوا كتلة كبيرة في مجلس الشـعب ومجلس الشـورى - في آن واحـد، فهـل كانـوا يدركـون مـا يعانيـه الشـعب من فقر ومـن عَـوَز وبطالـة؟ وأي شـعب تقصـدون؟ وما كتبـوه في دسـتورهم هل يحقـق مطالب المواطنين في العيش والحريـة والعدالة الاجتماعيـة والكرامة الإنسـانية؟ وأي مواطنـين يقصـدون؟ وكان منهم رئيـس الجمهورية، فهل كان رئيسًـا للمصريين جميعًا مسـلمين ومسـيحيين سـيناويين ونوبيين؟ وأي مصريـين يقصـدون ؟ وجـاء بدعـوى لمشروع النهضـة، فأي نهضـة ولأي مجتمع ينهضون؟ وحلف اليمين الدسـتورية، فأي يمين يحلفون وبأي صيغة للحلف يصوغون؟ والرئيس حريص على الإنسان والأرض والسيادة، فهل كان رئيسـهم حريصًا على الإنسان المصري؟ وحريصًا على الأرض المصرية؟ وحريصًـا على السـيادة الوطنية لمصر؟ بالتأكيد كل سـؤال مما طرحت كانت الإجابة الصحيحة، أن هذا المجتمع المصري(الجاهلي) لا يعنيهم، والسـيادة الوطنية (للجاهليين) لا تعنيهم، والإنسـان المصري لا قيمة له عندهم لأنه جاهـلي، والأرض المصريـة (أرض الجهالـة) لا يحترمونها مطلقًـا، والتراب المصري هباء لا يسـاوي شـيئًا، والراية المصرية عندهم أمر تافه، يحرقونها- لأنها راية المعتدين الفرنجة ومن وراءهم، والنشـيد الوطني رجس من عمل الشـيطان في مجتمع جاهلي يجب أن يزول، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، هذه هي عقيدة الإخوان وتصرفاتهم ، بانت عندما توهموا أنهم ورثوا مصر خلافة لمبارك .

القضية الثالثة
الافتئات على «طبيعة المنهج القرآني»

1- القرآن المكي «افتئات سياسي»:

(سيد قطب) صنف القرآن إلى مكي ومدني وكل قرآن له خصائص وميزات إذ قال: «ظل القرآن المكي ينزل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عامًا كاملة يتحدث فيها عن قضية واحدة لا تتغير ...قضية العقيدة». (ص20) ونحن معه لأن قضية العقيدة تضع الأساس لهذا الدين لأنها تحدد معنى «الألوهية والعبودية وما بينهما من علاقة» (ص20)، وأنها «تفسر للإنسان سر وجوده ووجود هذا الكون من حوله...من هو؟ ومن أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب في نهاية المطاف؟

ومن ذا الذي جاء به من العدم والمجهول؟ كيف يتعامل مع خالق هذا الكون، ومع الكون أيضًا، كما يبين له كيف يتعامل العباد مع العباد(ص21) وما زال على هذا الحال مؤكدًا عليه ونحن معه حتى قال: «لم يتجاوز القرآن المكي هذه القضية الأساسية ... إلا بعد أن علم الله أنها قد استوفت ما تستحقه من البيان» (ص21).

2- العقيدة الإسلامية «هي الحاكمية»:

انقلب (سيد قطب) بشكل فجائي إلى قضية لا علاقة لها بالمقدمات بأن قال: «بدأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أولى خطواته في الدعوة بدعوة الناس أن يشهدوا :أن لا إله إلا الله... ومعنى لا إله إلا الله ... أن الألوهية تعني الحاكمية العليا» وتحولت العقيدة إلى السياسة بكل معنى الكلمة، ولم أر من المقدمات التي عرضناها ونتفق عليها جميعًا أن فيها ما يبشر بلزوم هذه النتيجة إلا في أوهام (سيد قطب) تكرارًا لموقف الخوارج ومن سار على دربهم، وأصبحت القضية الأولى هي الحاكمية، ولا معنى لكل ما سبق من تساؤلات حول: من أين جاء الإنسان؟ وأين نهايته؟ وما مصيره؟ إذا تحولت القضية إلى من يحكم إمبراطورًا أو رئيسًا أو حاكمًا أو فرعونًا؛ أي إن المشكلة الحقيقية هي الحاكم وليست الإنسان والكون والله فوق ذلك جميعًا؛ أي إنها «ثورة على السلطان الأرضي الذي يغتصب أولى خصائص الألوهية»(ص22)، فالقرآن والرسول ثورة على الحاكم، هل كان في مكة حاكم أو وزير أو رئيس متغطرس؟ وكان على القرآن الكريم أو النبي العظيم أن يجابهوا هذا الحاكم أو الفرعون ..!

فآيات القرآن الكريم تحولت على يد «سيد قطب» إلى عرائض التقدم لمنظمة الأمم المتحدة أو لمجلس الأمن أو على الأقل إلى محكمة العدل الدولية ضد الروم أو الفرس أو العرب لأنهم أخضعوا الناس إلى حكمهم ولم يتركوه إلى خالقهم سبحانه وتعالى، إذ يقول (سيد قطب):

«بلاد الشام كلها في الشمال خاضعة للروم، يحكمها أمراء عرب من قبل الروم، وبلاد اليمن كلها في الجنوب خاضعة للفرس، يحكمها أمراء عرب من قبل الفرس وليس في أيدي العرب إلا الحجاز وتهامة ونجد» (ص23) هل فتح (سيد قطب) كتب التاريخ ليرى أن جميع الإمبراطوريات تنقسم بطبيعتها إلى دول صغيرة أو ممالك، كما تحولت الدولة الإسلامية إلى إمارات؟ أليست هذه طبيعة السياسة والحكم؟ أم أنها عند الإخوان شكل آخر لسنا أهلًا لإدراكه؟

3- النبي العظيم «ليس مصلحًا اجتماعيًا»:

يدلل (سيد قطب) على أن النبي - ﷺ - لم يكن مصلحًا اجتماعيًّا، لأن: «المجتمع العربي كان يعيش كأسوأ ما يكون المجتمع توزيعًا للثروة والعدالة، قلة قليلة تملك المال والتجارة، وتتعامل بالربا فتضاعف تجارتها ومالها، وكثرة كثيرة لا تملك إلا الشظف والجوع ...وأنه ﷺ كان في استطاعته أن يرفعها راية اجتماعية وأن يثيرها حربًا على طبقة الأشراف، وأن يطلقها دعوة تستهدف تعديل الأوضاع، ورد أموال الأغنياء إلى الفقراء» (ص 25)، ولماذا لم يفعل ذلك كما يتصور (سيد قطب)؟ لأن هذه الدعوة سوف «تقسم المجتمع العربي صفين، الكثرة الغالبة مع الدعوة الجديدة في وجه طغيان المال والشرف» (ص 25).

إن تاريخ البعثة المحمدية - في كل كتب التاريخ- يكذب كل من قال ذلك، واذكر معي قول جعفر بن أبي طالب - خطيب المسلمين بالهجرة الأولى- عندما سأله النجاشي: ماذا يقول لكم هذا الرجل ؟ يقصد النبي

ﷺ وما يأمركم به؟ وما ينهاكم عنه؟ فقال: يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم، ويأمرنا بألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له . (البداية والنهاية، لإسماعيل بن كثير، تحقيق: مأمون محمد سعيد الصاغرجي، ج3، دار ابن كثير دمشق وبيروت، 2010م، ص286- 287 - مختصر سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، تلخيص المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجزء الأول، القاهرة 2010، ص213)

وكان مع «جعفر بن أبي طالب» رهط كبير من المسلمين، منهم «سيدنا عثمان بن عفان» وزوجته السيدة «رقية» بنت رسول الله ﷺ، والهجرة كانت لحماية الدين، وليست بحثًا عن إمارة أو دولة أو مجتمع إسلامي، كما تصور (سيد قطب)، فهل كان عثمان رضي الله عنه مضطهدًا في تجارته أو بين أهله؟ أم أنه خائف على دينه؟ أكان يبحث عن دولة تحميه أو إمارة يحكمها ؟

4- النبي محمد يبشر بدين إنساني «وليس حاكمًا»:

هل كان يسعى «محمد»-صلوات ربي وسلامه عليه- لكي يكون «حاكمًا يبسط سلطانه في إقرار عقيدة التوحيد التي بعثه بها ربه» كما قال (سيد قطب)؟ (ص62)، لا والله وألف لا، لأن النبي العظيم جاء لنشر العقيدة الإسلامية فقط أما الخلافة والدولة، فإنها كانت عرضًا، لأن الناس في الجزيرة كانوا قبائل ولم يحلموا بالدولة أو بالإمبراطورية أبدًا،

ولكن القرآن مَهَّد لمجتمع مدني يساهم الناس في بنائه، وليس لعربي فيه على عجمي فضل إلا التقوى، وأهل الكتب السابقة لهم مكان لا يعتدي أحد عليه، إنه مجتمع المواطنين جميعًا، لا خلاف ولا تطاحن، لا حجة بيننا وبينهم والله يفصل بيننا وبينهم يوم القيامة.

إن دعوة النبي ﷺ كانت من أجل عقيدة وليست من أجل حكم، إذ يقول سيد الخلق محمد ﷺ : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»، لكن (سيد قطب) حولها إلى دعوة سياسية بامتياز، فيقول: «بعث رسول الله ﷺ والمستوى الأخلاقي في الجزيرة العربية في الدرك الأسفل ...وكان النظام فاشيًّا في المجتمع ...وكانت الخمر والميسر من تقاليـد المجتمع الفاشية ...وكانت الدعارة من معالم هذا المجتمع، شأنه شأن كل مجتمع جاهلي قديم أو حديث»، (ص27)

صحيح أن هذه بعض أخلاق العرب، وكان عليه أن ينبه لخطورتها على الفرد والمجتمع وإنما في إطار تشريعي بعد أن ينشر دعوته لله الرحمن الرحيم، وقد جعل في القرآن علاجًا لهذه الأمراض في إطار متدرج حتى يحول المجتمع البدوي إلى مجتمع حضاري لأول مرة في تاريخ الجزيرة العربية، لكنه لم يكن ضد السلطة لأن أهله هم من السلطة بل كان موحدًا الله في عالم تتعدد فيه الآلهة؛ هذا هو معنى رسالة محمد ﷺ، وكذب من يقول إنه جاء ليزيل عرش إمبراطور الروم؛ لأن القرآن الكريم يبشر الروم بالنصر في آياته الكريمة إذ يقول: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن

قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ (الآيات 2-4 من الروم)، وهذه السورة مكية تخالفُ زعم (سيد قطب) وتبشر بالنصر للروم على عكس ما توهم أصحابه الإخوان بأن القرآن المكي ينطق بما نطق به (سيد قطب)، ألم يقرأ سورة الروم حتى يفتري على الله وعلى رسول الله ﷺ وعلى المسلمين جميعًا من أول تاريخ النبوة وإلى سنة 1964 مقولة مزيفة بأن القرآن المكي يختلف عن بقية القرآن الكريم؟

ألم يرعو (سيد قطب) عن قول ليس حقيقيًّا وفيه افتراء على كتاب الله، فيزيد الطين بلة فيقول: « فلما تقررت العقيدة – بعد الجهد الشاق- وتقررت السلطة التي ترتكن إليها هذه العقيدة... قام النظام الإسلامي» (ص28، 29)، أليس هذا تزييفًا لحقائق التاريخ؟ هل أقام النبي ﷺ النظام الإسلامي للدولة؟ أم أنه بلغ الرسالة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها؟ ولم يوص بما يسمى الخليفة بعده، وكثير من معالم الدولة الإسلامية ينسب إلى الخلفاء والأمراء وغيرهم، منذ اجتماع السقيفة واختيار «أبي بكر» خليفة للمسلمين حتى آخر السلاطين في دولة الخلافة العثمانية، وهي معالم لا تنتمي إلى صحيح الدين، وإنما أعمال بشر يخطئ ويصيب، فأخطاء البشر لا تحسب على الدين، وتاريخ الدولة الإسلامية مليء بالإنجازات والأخطاء، فهل قرأ (سيد قطب) التاريخ الذي نعرفه أم قرأ تاريخًا يخصه وحده وجماعته؟

صحيح أن عدالة النبي ﷺ ورحمته مشهودتان، والإنسان الكامل هو النبي ﷺ، وهو المعصوم، أما صحابته فهم رجال تربوا في مدرسة النبوة

وكانوا على الطريق بهدي نبي الإسلام ﷺ ولكنهم أصبحوا حكامًا (خلفاء) لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، فطريقة اختيار الحاكم أيام الخليفة «أبو بكر»، تخالف أسلوب اختيار الخلافة أيام «عمر» رضي الله عنهما، وتخالف الولاية أيام «عثمان» أو «علي» رضي الله عنهم جميعًا، وكأن الدولة غير الدولة، والولاية غير الولاية، ونقول إنها الدولة الإسلامية، وزد على ذلك كل خليفة من الخلفاء سواء كان حريصًا على الدولة أم متهاونًا في حكمها، يخاف الله أم يركن لشيطانه، وهكذا أصبحت الدولة الإسلامية دولًا وحقبًا كل فرقة لها دولتها بما يخالف دولة الفرقة الأخرى، حتى أتانا العثمانيون وسلمونا على صوانٍ من ذهب للغرب بجهلهم وعبطهم وقلة حيلهم في آخر أيامهم، هل يرجى لهذه الدولة أن تعود أو أن يعود «رجب طيب أردوغان» خليفة للمسلمين بعد أن كان «فاروق الأول» ملك مصر والسودان خليفة لهم سنة 1948؟

5 - **القرآن (مكي ومدني).**

ويعلن (سيد قطب) القرآن المكي كله في تقرير أن: «لا إله إلا الله في القلوب والعقول... ومتى استقرت عقيد لا إله إلا الله استقر معها في نفس الوقت النظام الذي تتمثل فيه لا إله إلا الله... واستسلمت هذه النفوس ابتداء لهذا النظام ... وهكذا أبطلت الخمر، وأبطل الربا، وأبطل الميسر، وأبطلت العادات الجاهلية كلها، أبطلت بآيات من القرآن، أو كلمات من رسول الله ﷺ» (ص 31 ، 32) .

ولم يدر (سيد قطب) أنه جمع بين ما زعم - القرآن المكي والمدني - من تحريم للخمر والميسر والربا وكلها من القرآن المدني، ألم يدر أن هذه العادات كانت موجودة في مكة كما في المدينة؟ ولكن لحكمة لا يعلمها إلا الله أن كان التحريم في آيات مدنية، وعلى مهل في التحريم والمنع بالقرآن كله؛ سواء المكي والمدني عندما يأمر المسلمين باجتناب أي أمر يمهد له بمراحل مشهودة، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء: 43) وقوله أيضًا: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ (البقرة: 219) وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة: 90) وقوله أيضًا: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة آية 91) وهنا يصرح بالحكم بتحريم الخمر والميسر .

ولأول مرة يجاهر (سيد قطب) باستبدال مصطلح (الجماعة) بدلًا من (المسلمين)، رغم أنه تجاوز عن حكمة التنزيل بلفظ (المسلمون) الذي امتلأت به كتب التفسير وقصد به تكوين الجماعة فقط ، «حتى إذا نضج التكوين العقدي كانت الجماعة هي المظهر الواقعي لهذا النضوج» (ص 40) فالنبي ﷺ كان عند الإخوان نبيًا للجماعة وليس للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء آية 107)، فالجماعة تقسيم وتجزيء والمسلمون جمع وإجماع، وثانيًا استبدل مصطلح (التنظيم) بدلًا

من (المسلمون) للمرة الثانية في قوله: «إن العقيدة الإسلامية تحب أن تتمثل في نفوس حية، وفي تنظيم واقعي، وفي تجمع عضوي» (ص40)، ونسي (سيد قطب) أن الرسالة الإسلامية طبيعتها عامة، وأن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بقوله «الحمد لله رب العالمين» آية يتباهى بها كل المسلمين خلافًا لأهل الكتب جميعًا قبل الإسلام، وفي سورة يكررها المسلمــون في كل ركعــة وفي كــل صــلاة، هــل وعــى ذلك (سيد قطب) أو عشيرته؟ لا أظن ذلك؛ لأن الجهالة صنوان لهم فلا تنفك عنهم أبدًا، وفي ثالثة الأثافي يقرر (سيد قطب): إن الدين الإسلامي «في ذاته دين رباني، فإن منهجه في العمل منهج رباني» (ص41)، وهنا أناشد العقلاء أن يكفوا عن قراءة ما كتبه (حسن البنا وسيد قطب) لأن الرسالة المحمدية ما نزلت إلا على بشر، ونبيها بشر، ولغة قرآنها لغة عربية بشرية، وفيها علاج لأمراض بشرية، وإلا لما كان لرسالة الإسلام معنى ولا مغزى، قال تعالى: ﴿ ... قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾ (الإسراء 93 - 94)، وهكذا يغير (سيد قطب) الاعتقاد والمنهج والواقع الحيوي للرسالة الإسلامية ليبني أمة وعقيدة ومنهجًا من خياله، لا يمت بصلة للإسلام الذي عرفناه وآمنّا به وبرسوله العظيم محمد ﷺ، وجميعنا يكرر نفس السؤال الذي يسأله (سيد قطب): «أين تفصيلات نظامكم الذي تدعون إليه؟»، أبشركم أن السائل ليس عنده إجابة، لأنه يبحث في موضوع ليس مطروحًا أصلًا، وهو النظام السياسي في الإسلام.

القضية الرابعة

نشأة المجتمع

الإخواني وخصائصه

قال (سيد قطب): «إن الدعوة الإسلامية - على يد محمد رسول الله ﷺ - إنما تمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الدعوة الطويلة إلى الإسلام بقيادة موكب الرسل الكرام .. وهذه الدعوة على مدى التاريخ البشري كانت تستهدف أمرًا واحدًا: هو تعريف الناس بإلههم الواحد وربهم الحق» (ص46) وهذا مدخل نتفق عليه جميعًا .

الحاكمية «مرة أخرى»:

ولكن (سيد قطب) بطبيعته يتحايل على هذه المقدمة بوضوح عندما قال إن الناس «إنما يخطئون معرفة حقيقة ربهم الحق، أو يشركون مع الله آلهة أخرى؛ إما في صورة الاعتقاد والعبادة ، وإما في صورة الحاكمية والاتباع... وإما فيها جميعًا» (ص46)، والدعوة لله الواحد في كل الرسالات، من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ، ولم يكن مطروحًا في أي دين سماوي فكرة (الحاكمية)، إلا عندما أعلنها الخوارج على «علي» كرم الله وجهه، كأنها نزاع

سياسي لم ولن تنجر الأمة في أتونه المحرق، وهنا يبشر (سيد قطب) بالإحراق للمجتمع الإسلامي، وإني أرى خريطة الإخوان الحالية في الساحة المصرية والشرق الأوسط تنفيذًا لهذه الخطة .

الحاكمية مصطلح ظهر في الحياة السياسية يتداول علميًّا في واقعة اتفاق كل من الإمام علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما على تحكيم كل من أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص، في النزاع الذي كان بينهما بسبب مقتل عثمان رضي الله عنه . وفهم هؤلاء الباحثون من رفع الخوارج شعار «لا حكم إلا لله» نفي سلطان البشر في تسيير أمورهم السياسية، ومن ثم تصبح «الحاكمية» سبيلًا لنفي سلطان البشر في تسيير أمورهم الدنيوية.

وفي الحقيقة فإن ما قصده الخوارج من رفعهم لهذا الشعار يحتاج من الباحث المدقق لوقفة تأمل، فهم قد رفعوا هذا الشعار رافضين به ما انتهت إليه نتيجة التحكيم، وما كانوا يقصدون به نفي سلطان البشر في تسيير أمورهم السياسية والدنيوية أو نفي أن يكون للناس أمير، فقد كان لهم أمراء وكانت لهم آراؤهم في الإمامة والخلافة، ولكنهم قصدوا بهذا الشعار أنه لا ينبغي العدول عن حكم قد بينه الله في كتابه إلى حكم الرجال، فالله قد بين حكم الطائفة الممتنعة عن طاعة الإمام، فكيف يقبل عندئذ نصب الحكمين؟ وقد كان هذا رأي الإمام علي أول الأمر إلا أنه استُكره على غيره وقبل تنصيب الحكمين لفهم له موافقًا لحكم الله وقال: «حكمت فيهم بحكم الملك».

ولقد كان للخوارج فهم خاص لشعار «لا حكم إلا لله» رتبوا عليه نتائج استباحوا بها دماء المسلمين، وقد اعترف الإمام علي بالمبدأ (كلمة الحق)

ولكنـه أنكر عليهم ما رتبوه من نتائج، وما اسـتخلصوه من خلاصات، وما اتخـذوه مـن مواقف وأفعال (أريد بهـا باطل)، وقد كان الباطـل الذي يريده الخوارج هو نسـبتهم عليًّا رضي الله عنه للكفر واستحلالهم الخروج عليه مما أدى بهم إلى كثير من المظالم التي استباحوها على هذا الفهم غير الصحيح. وربما كانت مواقـف الغلو والتطـرف التي اتخذها الخـوارج من بعضهم ومـن المخالفين لهـم ترجـع في كثير مـن جوانبها إلى تكفـير مرتكب الكبيرة الـذي يعد أصلًا مـن أصول مذهبهم، بل إن هذا الأصل يفسر خروجهم المسـتمر على الأئمة والولاة القائمين في وقتهم، فالرأي عندهم وجوب الخروج على الإمام.

الحاكمية «جهل بالعلم»:

فالحاكميـة التي يعلنها (سـيد قطـب) فيها جهل بقوانـين العلم: «الناس محكومـون بقوانـين فطريـة مـن صنـع الله في نشـأتهم ونموهـم، وصحتهـم ومرضهم، وحياتهم وموتهم» (ص 47)، هل هذه القوانين اكتشفها الباحثون في القـرآن أم في البحـث في الطبيعـة والإنسـان وغيرها ؟ هل هـذه القوانين الفطرية حالت دون قيام علوم الطب حتى يتعالج الناس من أمراضهم؟ هل الطبيب خارج عن الإسلام أم أنها مهنة الجاهلية والجاهلين؟ هل كان العلماء في الحضارة الإسلامية هم من الكفار أو الجاهلين ؟

ويعقـب (سـيد قطب) على هـذا بقوله: «وهم لا يملكون تغيير سـنة الله في الكـون وتصرفـه ومن ثـم ينبغي أن يثوبوا إلى الإسـلام في الجانـب الإرادي في حياتهم». (ص 47)، أي قانون يقصد (سيد قطب)؛ قانون الموت والحياة ؟هذا غيـب وليـس قانونًا، لكـن الصحة والمرض أمر حياتي يتدخل الناس والأطباء

في كل مجتمع يمارسونه، حتى لو كان (سيد قطب) من أصحاب مذهب (الجبر) فالطبيب والعالم والكيميائي وغير ذلك لا ينفك المجتمع منهم.

وعلى (سيد قطب) ألّا يفر من المنحرفين في الدنيا لأنهم خلق من مخلوقات الله، ويجب القبول بهم و معالجتهم والصبر عليهم، ولا يصح أن نعاديهم أو نعلن الحرب عليهم. والعلماء في نظر (سيد قطب) - الذي نظن أنه لم يقرأ كتابًا علميًّا - لأن الكتب العلمية نتاج عقول جاهلة، إذ يصفون الإنسان: «مرة بأنه حيوان كسائر الحيوان، ومرة بأنه مادة كسائر المواد، وأخيرًا يعترفون بخصائص تميزه وتفرده، وتجعل منه كائنًا فريدًا - مضطرون لهذا الاعتراف في غير إخلاص ولا صراحة» (ص52-52)، وكأن هذا اكتشاف أصحاب (سيد قطب) وأحبابه سنة 1964، رغم أن هذا الكشف العلمي أقدم من هذا بكثير، (راجع كتاب سارتون في تاريخ العلم ج 1-2)، ولم يكن ذلك من الاضطرار، والعلم لا يعرف الاضطرار مطلقًا.

الحاكمية «جهل بالدين الصحيح»:

فلو قرأ الباحثون في دين الله لوجدوا كثيرًا من الحقائق تغيب عن أقوال (سيد قطب)، فكلمة (الحاكمية) لم ترد في كتاب الله وإنما هي زيف وتضليل ممن تقوّلوا على القرآن سابقًا ولاحقًا، فاستخدموا كلمة (حكم أو يحكم) دليلًا على ادعائهم أن هذا هو المقصود من تلك الآيات، مع أن كتب التفاسير خلت من الإشارة لهذا المعنى، فآيات (41 - 42-43 - 44 - 45 من سورة المائدة) لم تتحدث من قريب أو بعيد عن الحكم السياسي وإنما تتكلم عن أحكام دينية فقط، ولا علاقة لتلك الآيات بطبيعة أو نظرية الحكم السياسي

في أي بلد إسلامي أو غيره، فعلى المنصفين من أصحاب العقول أن ينتبهوا إلى ما يراد من تحويل الدين إلى أيديولوجيا سياسية ومعارك وأطماع، فكم خربت علينا ديننا جراء تلك العصبيات باستخدام أيديولوجيات ساهمت جميعًا في انفراط الأمة الإسلامية إلى كيانات ودول لا يجمعها هدف ولا مصير ولا رؤية! لأننا جميعًا في السياسة مختلفون فنشأت الاختلافات الدينية تبعًا لذلك.

فلو رجع (سيد قطب) لما قاله: « فليس للحاكم سلطة دينية ...وإنما هو يصبح حاكمًا باختيار المسلمين الكامل وحريتهم المطلقة، لا يقيدهم عهد من حاكم قبله، ولا وراثة... ومن هنا ندرك حكمة النبي ﷺ في أنه لم يعين خليفته من بعده» (سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق 1995، ص 82).

فالحاكمية التي صدع بها آذاننا (سيد قطب): «في كل شأن من شئون هذه الحياة » (ص47)، تجافي حكمة الله في خلقه، وتعاكس الحساب، وضد بعثة الرسل، إذ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء 15) وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (البلد 10)، وقوله أيضًا: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (الإسراء 15)، وفي شئون الحياة متسع للاختلاف في القيمة والتوجه، وفي الفقه مجال أرحب في الاجتهاد، فلا يتصور - أي إنسان - أن شئون الحياة مرسومة ومحددة بحاكمية الله، وهكذا فإن تميز الإنسان ضد الحاكمية، وبعثة الرسل ضد الحاكمية، والخطأ والصواب عند الإنسان ضد الحاكمية، والعلم والفقه الصحيح ضد الحاكمية، والمعرفة والجهل ضد الحاكمية ، والدنيا والآخرة جميعًا ضد الحاكمية كما يزعمها (سيد قطب).

الحاكمية «جهل بالتاريخ»:

أما قول (سيد قطب): «المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية: ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يومًا ما (عربية) وإنما كانت دائمًا (إسلامية)» (ص52)، والتاريخ وأهله شهود أن الحضارة الإسلامية لم تكن يومًا إلا عربية، وقد اجتمع فيها: «العربي والفارسي والشامي والمصري والمغربي والتركي والصيني والهندي والروماني والإغريقي والإندونيسي والإفريقي .. إلى آخر الأقوام والأجناس...فبذلوا جميعهم أقصى كفاياتهم، وأبرزوا أعمق خصائص أجناسهم ، وصبوا خلاصة تجاربهم الشخصية والقومية والتاريخية في بناء هذا المجتمع الواحد الذي ينتسبون إليه جميعًا على قدم المساواة» (ص52 ، 53)، إذا كان المجتمع الإسلامي بهذه التكوينة ، وهي صحيحة، جمعت بين القوميات والجنسيات –وهي عند (سيد قطب) رذيلة– والتجارب الشخصية والقومية والتاريخية–وهي أيضًا عند (سيد قطب) نقيصة– وجمعت في النهاية أقصى كفاياتهم، وأبرزوا أعمق خصائص أجناسهم –وهي في الحقيقة خصائص المجتمعات الجاهلية والمنحرفة في نظر (سيد قطب)، ألم يُر أن ما كتبه خارج عن المعقولية أو أنه يعلن عن عقلية مخرفة تهذي؟

الحاكمية «جهل بطبيعة المجتمع»:

وأهم إعلان لـ (سيد قطب) أن في جانب آخر من طبيعة هذا الدين في نظر (سيد قطب): «أن هذا الدين يتجلى في منهج عملي حركي جاد... جاء

ليحكم الحياة في واقعها، ويواجه هذا الواقع ليقضي فيه بأمره.. يقره، أو يعدله أو يغيره من أساسه.. ومن ثم فهو لا يشرع إلا لحالات واقعية فعلًا، في مجتمع يعترف ابتداء بحاكمية الله وحده».(ص33)

بهذا المعنى تحول المنهج العملي للقرآن عند (سيد قطب) إلى منهج عملي في إطاره السياسي فقط؛ لأنه استبدل «الأخلاق - بالجزيرة العربية - وهي في الدرك الأسفل من جوانب شتى، كالدعارة والخمر والميسر والربا نظامًا سياسيًّا يعتمد على سن الشرائع وتقرير النظم؛ أي أن الإسلام عند (سيد قطب)نظام دولة لها شرائعها. وعندما نطالبه بنظرية سياسية نستنجد بها في محاجة أصحاب السياسات في عالم السياسة، يمارس تهويلًا للمشكلة بأنه: «ليس على وجه الأرض مجتمع قد قرر فعلًا تحكيم شريعة الله وحدها»(ص34). إذًا أي شريعة تقصد؟ وأي نظام تحاول أن تروج له إلا تخيلات في عقل (سيد قطب) ومن روجوا لبضاعته فقط؟

«المسلمون في مكة لم يكن لهم سلطة على أنفسهم ولا على مجتمعهم، وما كان لهم حياة واقعية مستقلة هم الذين ينظمونها بشريعة الله» (ص34)، وهذا صحيح تاريخيًّا ودينيًّا، لكن عندما يتبع ذلك بالقول: «فلما أن صارت لهم دولة في المدينة، نزلت عليهم الشرائع وتقرر لهم النظام» (ص34).

نقول إن الشرائع التي نزلها ربنا - سبحانه وتعالى- لا تفرق بين مكة والمدينة لأن الشرع شرع الله ، فالصلاة والزكاة والصوم والحج كلها من شرع الله ونزلت بها آيات مكية وأخرى مدنية.

وليس هناك نظام تشريعي محدد ومشهور في الإسلام، وإنما هي أخلاق وقيم، يمكن للفقيه أن يستنبط منها أحكامًا، وقد استنتج الفقهاء في مذاهبهم وهي كثيرة ومختلفة نتيجة لاختلافاتهم في أصول الفقه وقواعد الاستنباط- ما نتج عنه كتب ومجلدات، يقال عنها مذاهب الفقهاء ، إذًا ليس في القرآن (شريعة) وإنما (شرع) والشريعة من عمل الفقهاء وهي شرائع، والحقيقي أن يقال شريعة المودودي أو شريعة محمد عبده وشريعة ابن حنبل وشريعة ابن حزم وشريعة الشافعي... إلخ إلخ إلخ، لكن شرع الله لا يتغير ولا يتبدل، وفي النهاية إن (الشرع) شرع الله، و(الشريعة) عمل إنساني يمكن أن تقبله أو ترفضه، كأن تقبل ما قاله المودودي في القتال أو ترفضه، وكذلك الأمر في الخلافة عند الشيعة أو عند سيد قطب مهما كان موقعها في أصول العقيدة عند الشيعة وسيد قطب ، «الشريعة الإسلامية لفظ واصطلاح لم يذكر في النص القرآني، وهي في الحقيقة مصطلح لغوي لمنتج بشري لفقه وفهم بشري تفصيلي، يحتمل الصواب أو الخطأ للرسالة الإلهية للناس» (مصطفى فهمي، هل الشريعة إسلامية أم إلهية ؟)

الحاكمية «وهمٌ باعه لنا الإخوان»:

وقد توجهنا بالسؤال كما تصور (سيد قطب) عن «الأسس العامة للنظام الإسلامي بل التشريعات الإسلامية، حتى يتيسر لنا طريق الدعوة، وحتى تحبب الناس في هذا الدين» (ص36)، لكن هيهات هيهات لنا أن نعرف؛ لأن (سيد قطب) رد علينا بقوله: إن «هذا وهم تنشئه العجلة» (نفس الموضع)؛ أي إننا متعجلون، ويجب أن نقبل ما قاله على أنه صحيح الدين ولا تسأل عن

أي شيء ، رغم أن القرآن يعرض لنا أسئلة الإنسان عن الروح وعن الله وعن الساعة وعن أشياء أخرى منها المحيض، كلها أسئلة إنسانية أجاب عنها ربنا في آيات القرآن الكريم، فكيف لا نعلم أسس النظام الإسلامي الذي يبشر به (سيد قطب)؟ إلا إذا كان وهمًا من أوهام الجماعة، وأوهام الجماعة كثيرة جدًّا منها: مشروع النهضة، وما أدراك ما النهضة؟!

الحاكمية «مقولة باطلة»:

شرع الله أولى من شرع العبيد ، مقولة باطنها غير ظاهرها وهي من طبيعة الإخوان، يقول (سيد قطب): «إن نظام الله خير نظام، لأنه من شرع الله ، ولن يكون شرع العبيد يومًا كشرع الله، فمن رغب في الإسلام ابتداء فقد فصل في القضية، ولم يعد بحاجة إلى ترغيبه بجمال النظام وأفضليته، فهذه إحدى بديهيات الإيمان». إن هذه المقولة احتوت على كلمة (النظام) وهي كلمة لا مكان لها في القرآن أو في الحديث، وإنما هي من إنتاج السياسيين، ولا معنى لها دينيًا، هذا أولًا ، (من رغب في الإسلام) هل هذا شرط أم إقرار؟ إن كان شرطًا فيجب تقديم الإسلام له بحلوه ومره، وإن كان إقرارًا فعليه الفوز أو العقوبة، والإيمان بطبيعته يزداد وينقص، وعلينا أن نقرأ القرآن أو نصلي أو نصوم علّنا نتقي ونؤمن، إذًا الرغبة مقدمة تحتاج إلى شرح وفهم ومباشرة، وثالثًا (إحدى بديهيات الإيمان)، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾؟ (يونس 99)، الإيمان أعلى مراتب الإحساس القلبي ولا يمكن أن يزيف له أبدًا، أو أن تخدع الناس به، ومن الضروري «لأصحاب الدعوة الإسلامية أن يدركوا طبيعة هذا الدين ومنهجه

في الحركة» (ص38). فأي إدراك وأي طبيعة وأي منهج في الحركة وكلٍ ما طرح على القراء لا يقدم إدراكًا ولا يصف طبيعة ولا يحدد ملامح منهج قطُّ؟!

ومن قبيل التعالي على مقام النبوة، زعم (سيد قطب) أن القرآن لم يقض ثلاثة عشر عامًا كاملة في بناء العقيدة بسبب أنه كان يتنزل للمرة الأولى، ظل هذا المجتمع الجاهلي في أي زمان وفي أي مكان، لا سبيل لإعادة المجتمع الإسلامي- بغير الفقه الضروري لطبيعة نشأته العضوية الحركية » (ص51)؛ أي أن الفقه التنظيمي الحركي هو السبيل لنشأة المجتمع الإخواني؛ لأن «المجتمع الذي يعتقد بأن لا إله إلا الله اعتقادًا ويزاولها عبادة ...لا يمكن أن يؤدي إلى وجود فعلي للإسلام» (ص49)، وقوله أيضًا: «شهادة أن لا إله إلا الله، لا توجد فعلًا ولا تعتبر موجودة شرعًا إلا في هذه الصورة الكاملة التي تعطيها وجودًا جديًّا حقيقيًّا يقوم عليه اعتبار قائلها مسلمًا أو غير مسلم» (ص48).

وحقيقة الفقه الإخواني أن الإنسان لا يكون مسلمًا بحق ولو شهد أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله -اعتقادًا- وزاول عبادة الصلاة والزكاة والصوم والحج؛ والمسلم حتى يكون مسلمًا يجب أن يكفر كل معارض للإخوان فيما ذهبوا إليه، وفي النهاية فإن العقيدة الإخوانية هي العقيدة الصحيحة وغيرها لا تكون أبدًا، والفقه الإخواني هو الذي يحدد ملامح جماعتهم ودينهم وإلههم ومرشدهم، فلا دين ولا عقيدة ولا حضارة ولا علم ولا فقه ولا مجتمع إلا ما تصوروه، فأي مجتمع يقصدون! وأي خصائص يتوهمون؟!

ولم أجد فيما كتب (سيد قطب) شيئًا عن خصائص هذا المجتمع حتى نقيم هذه الخصائص، ولم أعثر على مؤشرات ظهور هذا المجتمع العلمية

والاجتماعية والتاريخية، حتى نثبت للقارئ أن هذا المجتمع الإخواني موجود ولو كان في أضيق الحدود، وفي النهاية لم يتسنَّ لنا إدراك ملامح هذا المجتمع ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ (الكهف 103 – 106).

التقية الإخوانية:

كما أن الفقه الإخواني عند (سيد قطب) يقول بـ«التقية»، لأن أفراد المسلمين (يقصد الإخوان وليس المسلمين): « الداخلين في التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي سيظلون مضطرين حتماً للاستجابة لمطالب هذا المجتمع العضوية ... سيظلون يقومون (فعلاً) بتقوية المجتمع الجاهلي الذي يعملون (نظريًا) لإزالته... ومن ثم لم يكن بد أن تتمثل القاعدة النظرية – في إطارها التنظيمي للإخوان– في تجمع عضوي حركي آخر غير التجمع الجاهلي، منفصل ومستقل عن التجمع العضوي الحركي الجاهلي الذي يستهدف الإسلام إلغاءه» (ص49، 50).

فالإخوان يشاركون في المجتمع الجاهلي بكل ملكاتهم وإمكاناتهم، ويحافظون على سلامة هذا المجتمع من الفساد عمليًا، ولكن نظريًا يقيمون تجمعًا حركيًا (تنظيم حركي) يهدم هذا التجمع الجاهلي، فهل هذا معقول في زمان انتشرت فيه الجاسوسية إلى أعلى مستوى؟!! لكننا أمام تجمع حركي جاسوسي يضارع جاسوسية العالم، ويتصورون أنهم ينشرون دعوة الله

للناس أجمعين، ويكون قائد تنظيم الإخوان: «قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله وحده وربوبيته وقوامته وحاكميته وسلطانه وشريعته ... تنظم حركتهم وتنسقها، وتوجههم لتأصيل وتعميق وتوسيع وجودهم الإسلامي، لمكافحة ومقاومة وإزالة الوجود الآخر الجاهلي» (ص50، 51)، أليس فيهم رجل رشيد؟ يقول لهم إن الزمان غير الزمان والمكان غير المكان، وجزيرة العرب لم تعد جزيرة وإنما مدن وقلاع، والعقل غير العقل، والخبرة غير الخبرة، وأصبح الآخر مهما تكن عقيدته متلازمًا معنا في السر والعلن، والسلم والحرب، يحكمنا معًا قانون لا يفرق أحدًا عن الآخر فكلنا سواء، لكن طبيعة الإخوان العلنية سلمية وهي في المخابئ إرهابية وعدوانية، فلا استغراب لقيام فصائل تدعي أنها إسلامية بأعمال إرهابية وعدوانية في كل بقاع الدنيا، هذا هو الفقه الإخواني بأفظع تجلياته على الأرض قتلًا وحرقًا وعنفًا.

القضية الخامسة

المقدمات الخاطئة تنتج أحكامًا خاطئة

«الجهاد في سبيل الله»

المقدمة الأولى: الاعتماد على كتب تجاوزها الزمان «فيها دلائل انحرافها».

يعتمد المنظِّر الإخواني على ما كتبه «محمد بن عبد الوهاب» في كتابه (مختصر زاد المعاد) بالنص، وعلى كتاب (زاد المعاد لابن قيم الجوزية) بالتصريف في عنوان الفصل والمتن ، فينقل: «فصل في ترتيب هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث إلى حين لقي الله عز وجل» .

وكان عليه كما زعم فيما سبق أن الفقه وعلم الكلام والفلسفة والتاريخ وغيرها من العلوم، هي جهالات منحرفة أدت إلى انحراف المسلمين عن النبع الأصيل الوحيد، وهو القرآن الكريم، وكان عليه أن يجنب نفسه الاعتماد على هذه الكتب القديمة، حتى تتم تنقيتها من الإسرائيليات والأفكار البالية، ويقدم للمجتمع الإسلامي فكرًا جديدًا يتميز به عن السابقين ويحسب له عند الله، لكن (سيد قطب) انتقى أشهرها بالجهالة والحمق، واختار من

موضوعاتها ما اجتمع الناس على خروجه عن صحيح الدين؛ لأن المسلمين أضحوا عصابات مسلحة في كل مكان في الأرض، تقتل وتحرق وتنهب باسم الدين، والدين منها براء، وعندما تقدم للعامة أن (الجهاد أصل من أصول الدين) وتنسى أن الدول أصبح لها جيوش مدربة ومسلحة مسئولة عن الشعب والأرض والسماء، في إطار دولي محترم، فإنك بذلك القول تساهم في تجييش الناس عصبيًا - ودون النظر لبواعث هذه الحرب - للحرابة والجهاد باسم الإسلام، مع أن الإسلام ضد العصبية والنبي ﷺ نهانا عن العصبية، وقال عنها إنها جاهلية هذا الزمان: «**أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بينكم؟!**»، لكن (سيد قطب) ومن معه يمارسون العصبية باسم الدين.

مراحل الجهاد «منقولة من (زاد المعاد) لابن القيم»:

وقد افتتح (سيد قطب) كلامه أن: «أول ما أوحى به تبارك وتعالى أن يقرأ باسم ربه الذي خلق، وذلك أولى نبوته، فأمره أن يقرأ في نفسه ﴿فَأَنذِرْ﴾ فنبأه بقوله ﴿اقْرَأْ﴾ وأرسله بـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حولهم من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين، فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف والصبر والصفح، ثم أذن له في الهجرة، وأذن له بالقتال، ثم أمره بأن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله، ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمة ... فأمره أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، أو يدخلوا في الإسلام،

وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم ، فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان، وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم إليهم ...» (ص 55-56) (راجع كتاب ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان، 1998، 143، وكتاب محمد بن عبد الوهاب ، مختصر زاد المعاد ، دار الريان للتراث، القاهرة ، 1987، ص136).

ومن ينتو أن يكتب في الدين فعليه أن يدرك أن آيات القرآن جزئية يقصد فيها الكلي، وكلية يقصد فيها الجزئي، وآيات تقريرية وأخرى تقديرية، الأولى قوانين لله في خلقه ، والثانية توجيه ودعاء ورجاء وتمنٍّ لله على الناس، ومن الآيات التي تحتاج إلى الانتباه آية رقم29 من سورة التوبة (براءة)، إذ قال الله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ (٢٩) ﴾، إن هذه الآية الوحيدة في القرآن التي تفردت بقول: (قاتلوا) ولم تتبعها بـ (الذين يقاتلونكم)، لذا يجب حمل (قاتلوا) على معنى آيات القرآن كلها، وأيضًا (الجزية) وهي المرة الوحيدة على نحو: (قاتلوا) يذكرها القرآن، وكان على المفسرين الانتباه إلى الظرف والمكان والزمان حتى لا ينسحب المعنى على كل زمن وكل حين ، وإلا كان الإسلام مغتصبًا للأوطان والعقول؛ لأن هذا المعنى يعني أن الإسلام انتشر بحد السيف، هل من العقلاء من يقول هذا عن دين أولى آياته ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ (٢) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (٣) ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ (٥) .... ﴾.

المقدمة أفضت إلى نتيجة «انحرافية»:

واستنادًا إلى تلك المقدَّمة، قدم (سيد قطب) سمات المنهج الحركي لهذا الدين (المزعوم) .

مراحل الجهاد عند سيد قطب:

1- «مرحلة الواقعية الجدية في منهج هذا الدين..فهو حركة تواجه واقعًا بشريًّا..وتواجهه بوسائل متكافئة لوجوده الواقعي .. إنها تواجه جاهلية اعتقادية تصورية» (ص56 ، 57).

هل توجه هذا التنظيم الإخواني إلى أوربا أو أمريكا أو أي بقعة غير مسلمة حتي ينشر فيها دينه المضطهد، أم أن التنظيم الإخواني بمعاونة الإنجليز والأمريكان بمثابة استعمار جديد للمنطقة العربية باسم الدين (ألم يصدق ماركس حين قال الدين أفيونة الشعوب؟)، ألم يكن الأمريكان والأوربيون أولى بنشر هذا الدين في مجتمعاتهم حتى يعلموا شيئًا عن الإسلام؟ وعندئذ يقال إن الإخوان نشروا الدين في أرض جديدة، أو عود جديد للفتوحات الإسلامية في أوربا وأمريكا؟! إلا إن كان الأوربيون والأمريكان قد التزموا بالدين وطبقوه، ونحن المسلمين في جهالة منه، لذا وجب عليهم جهادنا، وكانت الجزية مطلوبة منا ندفعها ونحن صاغرون، ذليلون حقيرون مهانون؟! كما ذكر ابن كثيرفي تفسير آية 29 التوبة – وربما توعدنا أبو حنيفة، رحمه الله ، بأن الجزية تؤخذ من جميع الأعاجم، سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين ، ولا تؤخذ من العرب (إلا) من أهل الكتاب، والمشركون من العرب ليس عليهم

جزية؟! أي إنصاف عقدي في مواجهة انحراف بعض المفسرين ؟هل هذا دينهم الذي ينشرون؟! ولو راجع كتب التاريخ لأدرك أن الفاروق عمر قد أعفى معمرًا من أهل الكتاب لكبر سنه من دفع الجزية، وهذا دليل على أن الجزية كانت اجتماعية وليست دينية.

وقد صنف (سيد قطب) «هذه الواقعية الجدية (الإسلامية) لمواجهة هذا الواقع كله بما يكافئه»(ص57) إلى صنفين:

أولًا: «تواجه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات» (ص57).

فأي دعوة تدعونها وليس عند الإخوان عالم يشار إليه بالبنان؟! ولم يقدم (سيد قطب) شيئًا لتصحيح المعتقدات والتصورات، بل اعتمد على ترهات لا معنى لها في دنيا الفقه والعقيدة والتفسير، ونظنها مقدسة تاريخيًّا وعقديًّا، لأنها اعتمدت على بعض أقوال الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وكلهم أصحاب فضل علينا، والعصمة لرسول الله ﷺ.

ثانيًا: «تواجه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها» (ص57).

بأي قوة يتذرعون؟! وعن أي جهاد يتكلمون؟! وأي أنظمة وسلطات سيزيلون؟! فالقوة والجهاد وإزالة الأنظمة تواجه المجتمعات الإسلامية فقط دون غيرها؛ لأن الإخوان لا ينتمون لهذه الأرض ولا يشربون من نيلها ولا يسجدون للواحد القهار، ولا يرجعون إليه ولا يوحدونه مع شعوب هذه المنطقة، وخاصة مصر حاضنة العرب والمسلمين.

2- «مرحلة الواقعية الحركية .. فهي حركة ذات مراحل، كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية، وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها ... إن الإسلام لا يجاهد للدفاع! ويحسبون أنهم يُسْدُونَ إلى هذا الدين جميلًا بتخليه عن منهجه وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعًا».(ص57-58)

الإسلام في كل سراياه وغزواته وحروبه وقتاله لم يكن - بأي حال من الأحـوال- إلا مدافعًا، وكل الآيـات القرآنيـة التي ذكر فيها (القتـال) أو (الجهاد) يجب أن يفهم أنها تحقيق لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (آية 190 البقرة - وآية 87 المـائدة) وقوله أيضًا: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (آية 193 البقرة)، وهي آيات مدنية لكل من تفقه في الدين الحنيف، وذلك ليس جميلًا نسديه له بل إقرارًا بأنه ليس دين العدوان ، وأن رسالته للإنسانية رسالة المحبة والوئام، دينًا يستوعب الحضارات ويسبقها، دينًا يؤصل لحقوق الإنسان قبل أن تعرف البشرية حقوقها ، دينًا يحاسب الطغاة على جرمهم ولا يعتدي عليهم ، دينًا يحاسب الناس ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ (الزلزلة، الآيتان 7، 8) وهي مدنية أيضًا؛ أي إنه دين عدل وإنصاف، أي تلبيس على منهج الدين؟ وأي حمل على النصوص بما لا تحتمل وإرهابنا بأن هذه القواعد النهائية في هذا الدين تزييف وجهالة للدين عند (سيد قطب) وأمثاله؟! إنهم يجب أن يتعلموا كيف يُقرأ القرآن.. واللغة التي نعلمها لا تعني أنه يفهم القرآن وخبر معانيه، وليس عليه أن يفتي بغير علم .

أحيل (سيد قطب) للتاريخ الإسلامي في معركة الجمل، وهي معركة سياسية بامتياز، والأصل فيها أن الخلاف السياسي لا يحمل على عقيدة المسلم ، فجميعهم مسلمون ومؤمنون، لا نشك في إيمانهم، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كان في جانب والسيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ ومعها طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم كانوا في الجانب الآخر، وقتل كلٌّ من طلحة والزبيرفي هذه المعركة، أي منهم هو الطاغوت؟ ومن صاحب الحق والمتحدث الحقيقي باسم الدين؟ فأين الطواغيت حتى يزالوا كلهم من الأرض جميعًا؟وأي حرب تقتلع وتبيد المعتدين من على وجه الأرض؟ فأين حقوق الإنسان في القرآن قبل منظمة حقوق الإنسان العالمية؟ وهل كان للعثمانيين فيما فعلوه في ممالكهم- بزعم أنهم خلفاء مسلمون - حجة أو دليل من القرآن والسنة، أم أنهم هم الطواغيت ولكن الإخوان و(سيد قطب) لا يشعرون؟!

3- «الحركة الدائبة...لا تخرج هذا الدين عن قواعده المحددة... ولا مساومة في هذه القاعدة ولا لين...وهو إخلاص العبودية لله» (ص58)، ولو كان الأمر كهذا لكان طيبًا، لكن (سيد قطب) يلبس علينا المعاني، فيقول: «بالوسائل المتجددة ...(فالإسلام) منذ اليوم الأول -سواء وهو يخاطب العشيرة الأقربين، أو يخاطب قريشًا ، أو يخاطب العرب أجمعين، أو يخاطب العالمين، إنما يخاطبهم بقاعدة واحدة ... تمضي إلى تحقيق هذا الهدف الواحد في خطة مرسومة ، ذات مراحل محددة ، لكل مرحلة وسائلها المتجددة ، على نحو ما أسلفنا في الفقرة السابقة» (ص58).

إنها مرحلة من مراحل الجهاد ، فلا مساومة في هذه القاعدة ولا لين، وهذا أمر ديني -فيما زعم (سيد قطب)-ودليله أن هذا إخلاص العبودية لله- فجهزوا أنفسهم للجهاد ، ولهذا كان الحديث الأول لـ «محمد مرسي» في ميدان التحرير موجهًا «لأهلي وعشيرتي»، ونحن حينها نظنه عجزًا في الخبرة السياسية، ولكنه في الحقيقة التزام بمراحل الجهاد عند(سيد قطب).

كيف هذا والجماعة ما نشأت إلا فصيلًا سياسيًا من أول لحظة؟ وكان المخطط لها أن تقدم دولة الخلافة، مهما كانت إنجليزية أو أمريكية ، دون أن تكون دولة إسلامية تقوم على العدل والعلم والحق والتسامح والوئام والتعاطف ، لأنها دولة إخوانية تقوم على الكره والتعصب والجهل والفرقة بين الناس ، هذا سني وذلك شيعي وآخر نصراني والآخر مسلم وذلك يهودي وآخر علماني واشتراكي وناصري وماركسي، وكل حزب بما لديه متمسك يجاهر بالعداوة والحقد والبغضاء شاهرًا سلاحه على الناس أجمعين ، لأنه يصمهم بالجهالة والعبودية للعباد.

4- «الضبط التشريعي للعلاقات بين المجتمع وسائر المجتمعات الأخرى... فلا يقف أمام دعوته أي نظام سياسي، أو قوة مادية ، وأن تخلي بينه وبين كل فرد ، يختاره أو لا يختاره بمطلق إرادته، ولكن لا يقاومه ولا يحاربه...» (ص58-59).

لم نشهد إخوانيًا كتب في الفقه أو التاريخ أو أي علم من العلوم كتابًا، حتى يقول الناس إن هذه علومهم وتلك بضاعتهم، والضبط التشريعي للعلاقات مع المجتمعات الأخرى، وقد وصفها سابقًا بالجهالة، فكيف

يقيم علاقـة معهـا؟ كيف لا يحول دون قيام هذه العلاقة حائل سياسي أو مادي؟وقد تناسى العزلة المفروضة على جماعة الإخوان؛ لأنهم جاءوا لزوال هذه المجتمعات، وإنما مرحلة من تكوين عصابات تحت الأرض تعبث في الخفاء، وترتب المؤامرات، وتتلقى من الأعداء أموالًا لتفسد علينا جمعنا ووئامنا ووحدتنا وديننا الذي ربينا عليه، وليس بين جماعة الإخوان والمجتمعات الأخرى التي تدين بغير دين الإسلام أي جهاد أو اعتداء أو حرب ، رغم أنه أعلن الجهاد بلا مساومة ولا لين ضد المجتمعات التي لا تؤمن بأن «لا إله إلا الله» قولًا وفعلًا، هل العدو الأساسي لجماعة الإخوان هم المسلمون أو العرب، والمجتمعات غير العربية والإسلامية هم الأحباب والأصحاب ؟ أم أن التحالف السياسي يجمع الإخوان إلى الفرنجة الذين وصفوا سابقًا بالقردة والخنازير؟ أي عقل يفهم؟ وأي منطق يسود؟

النتيجة أن الإخوان المسلمين «تنظيم حركي وليس دعوة إصلاحية».

- الإخوان يعتمدون على جهل الأمة بدينها الصحيح ويعلنون أن الأمة الإسلامية عاصية بل جاهلة في أحط مراتب الجهل، وتحتاج للبناء من جديد على يد نبي وصحبته من إنتاج (سيد قطب) وأعوانه، والمفكر والمدبر والقائد الذي يمتلك العلم والدين هو(سيد قطب)، وعلى الناس أن يسمعوه ويطيعوه بغير تفكير حتى يكونوا إخوانًا حقيقيين .
- الكتب المسموح لها أن تُتَدَاولُ بين الإخوان، إما منشورات (سيد قطب) وإما كتب تكفيرية، مثل كتب «ابن تيمية» وكتب «ابن القيم»

وكتب «محمد بن عبد الوهاب» وكتب «حسن البنا» وما قال «سيد قطب» والنتيجة أن قول «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ليس دليلًا على إسلام المسلم، فمن ارتكب معصية – أيًا ما كان حجمها – فإنه كافر وجاهل، ويجب قتله أو نفيه من الأرض.

– مراحل «الواقعية الجدية» و«الواقعية الحركية» و«الحركية الدائبة» و«الضبط التشريعي للعلاقات بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات الأخرى»، من تصور أن الإخوان ليسوا «تنظيمًا مسلحًا» عندما يجد تلك المراحل الجهادية في كتبهم يتأكد من وصفهم أن حرب الإسلام ليست حربًا دفاعية، وأن الحرب من أصل الدين، وربما تكون أول الأصول عند الشيعة لأن الخلافة أصل من أصول الدين؛ لذا فإنهم يقاتلون الناس أجمعين حتى يعلنوا استسلامهم.

حروب الإسلام «دفاعية وليست تقتيلًا»:

يقارن (سيد قطب) بين «حرب (الإسلام) في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس والإسلام، والتي تعبد الناس للناس، وتمنعهم من العبودية لله... وبين الحرب الدفاعية» (ص59).

– الحرب الدفاعية معروفة لكل الناس، إنها حرب يدافع الإنسان بها عن نفسه وأهله ووطنه وماله في مواجهة المعتدين أيًا كانوا، وعندما يقال إن حروب الإسلام دفاعية، فدليلنا على ذلك الآيات القرآنية التي انتهت بقوله تعالى: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (آية 190 البقرة، آية 87 المائدة).

وينسب (سيد قطب) للإسلام حربه على الناس في قوله: «إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة الإسلام ذاته ودوره في هذه الأرض، وأهدافه العليا التي قررها الله، وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة، وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات» (ص59).

- وهذا افتراء على الله، فإنه أرسل الهادي البشير ليحارب الناس حتى يشهدوا أنهم مسلمون، لأنه لو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة، ولكن عطاء الله غير محدود، فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ (هود 118)، وقال أيضًا: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾، (الأعراف 168) حتى يكون للآخرة والحساب معنى، وما قيمة الجنة والنار إذا كان الناس جميعًا مهتدين في تصور (سيد قطب)؟

يعلن (سيد قطب) بوصفه رسولًا لهذه الدولة الإخوانية الإعلان عن: «الثورة الشاملة على حاكمية البشر ... أي تأليه البشر... وهذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله وطرد المغتصبين له» (ص60).

- ويتوهم (سيد قطب) أن دليله لهذه الثورة هو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، (آية 64 آل عمران)، ولست أدري أي تفسير قرأه، وأي ثورة يزعم، للمرة تلو المرة يكرر مصطلح «الحاكمية» مع أنها لا معنى ولا ضرورة في مفهوم هذه الآية، لأن معنى «الربوبية» مستمد من «رب» و«أرباب» وهو

المصدر والأصل للمخلوقات، وذلك مختلف عن «الألوهية» وهو مستمد من «الإله» أو «الله» والذي توجه العبادة له من العابدين والعباد والعبيد، ولا علاقة لها بمصطلح «الحاكمية» السياسي، الذي دس علينا من معنى الآية الكريمة: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ (يوسف آية 40) مع أن الآية تتحدث عن العبادة لا عن السياسة، فكيف تتحول على يد (سيد قطب) وأمثاله من العبادة إلى السياسة ؟

– وافتراء على بعثة رسول الله ﷺ أن الرسالة والرسول مهمتها الأولى البشارة والإنذار والرسول شاهد على الناس، وليس محاربًا ولا قتالًا، يدعو للإيمان ولا يرغم عليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ (الأحزاب 45)، وقال أيضًا: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ (الفتح 8)، وفي الآية الأخيرة من كتاب الله يقول للنبي ﷺ: ﴿...ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ...﴾ (المائدة 3) فهل أقام الدين أو الدولة؟ والنعمة التي أتمها هل كانت نعمة الدين أم الدولة؟ وما هو محل رضا رسول الله ﷺ أهو الدولة والأمة والخلافة أو الإسلام دينًا؟ وفي النهاية إذا كان النبي مكلفًا بإقامة الدولة أو الأمة والخلافة، فهل يترك الرسول شيئًا من الرسالة للناس يبلغونها بعد رحيله وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ...﴾؟ (المائدة 67).

مملكة الله في الأرض:

مهما توهم المتوهمون وانحرف المنحرفون في حيلاتهم، فلن يتجرأ أحد على نفي الملك لله في الأرض والسماء وما بينهما وما دونهما، فلله الملك جميعًا،

ولكـن (سـيد قطب) له روايـة أخرى: «إن قيام مملكـة الله في الأرض وإزالة مملكـة البـشر وانتزاع السـلطان من أيـدي مغتصبيه مـن العبـاد ورده إلى الله وحده ، وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية» (ص60).

نقول إن (سيد قطب) له رواية أخرى، لأن استخلاف آدم لم يكن اعتداء عـلى ملكيـة الله للأرض، لـذا علمه الله الأسـماء كلها، وهيـأه للخلافة بعقل وقلـب وروح لمبـاشرة المهمـة الكـبرى، وآدم وأولاده أوكلهـم الله لتعمـير الأرض، قـال تعـالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (الملـك 15)، لـو كانـت الأرض هـي الجنـة مـا كان لآدم أن يخـرج منهـا ليحيا حياة بشرية فيها الصواب والخطأ، والإنسـان والخطيئـة (أي الشـيطان)، هـل كان (سـيد قطب) يبشر بـأرض لا يقطنها إبليـس؟ أم أنـه تعالى عن مقـام الله – تعالى – بهداية النـاس أجمعين في مملكته الإخوانيـة؟ وفي تاريـخ الفلسـفة في كل العصور من سـوف ينسـب لله تعالى مملكـة تخلو من البـشر وأخطاء البشر، لأن هذا هو مقـام الله، أن يغفر للناس أخطاءهـم ويعفـو عن كثير، فكل قوانين البشر محملـة بأخطائهم، والله تعالى يعفـو عن هذه الأخطاء بفعـل الهدي وليس بالإزالـة ، والآية الكريمة وهي تحذر الناس أن الله يسـتبدل بهم قومًا آخرين يحبهم ويحبونه، هذه آية تقديرية وليسـت تقريريـة، واسـتبدال قوم بقـوم وأناس بأنـاس وليس إزالـة الناس أجمعـين، وإذا أزيـل النـاس بأخطائهـم فـما الحكمـة من وجـود الجنـة والنار والحسـاب؟ قال تعـالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ...﴾ (المائدة 54).

الإخوان حركة سياسية فاشية وليست دينية:

إذا كان بيان الإخوان العقدي تبين فساده، لأنه لا يمت بصلة إلى الإسلام، فعلينا الآن أن نواجه (الحركة الإخوانية) لنثبت للقارئ أنها حركة سياسية تتغطى بالدين ولم تكن دينية مطلقًا. قال (سيد قطب): «الحركة تواجه العقبات المادية وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم» (ص61)، وقوله: «بعد إزالة القوة المسيطرة –سواء كانت سياسية بحتة ، أو متلبسة بالعنصرية أو بالطبقية داخل العنصر الواحد» (ص63) وقوله: «وأن توجه الضربات للقوى السياسية .. التي تحكم بغير شريعة الله وسلطانه» (ص63)، وقوله : «إنها تجاهد باللسان وبالبيان حينما يخلى بينها وبين الأفراد... فهنا (لا إكراه في الدين) أما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية، فلا بد من إزالتها أولًا بالقوة» (ص66)، ومرة أخرى يكرر (الشريعة)وهي إنسانية مما اصطلح عليه الفقهاء، و(الحاكمية) وقد بينا الحقيقة في هذا الأمر، والمشكلة عند (سيد قطب) هي أنه لا يملُّ من التكرار حتى يظن القارئ أنه حقٌّ نتيجة لتكراره.

الجهاد عند سيد قطب:

وفي تاريخ المسلمين مغالطات روج لها (سيد قطب)، واعتمد عليها في تزييفه لحقيقة الواقع، فقال: « ترى لو كان أبو بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم– قد أمنوا عدوان الروم والفرس على الجزيرة فهل كانوا يقعدون إذن عن دفع المد الإسلامي إلى أطراف الأرض؟ وكيف كانوا يدفعون هذا المد وأمام الدعوة تلك العقبات المادية من أنظمة الدولة السياسية»؟ (ص65) وقال:

«وفي الإسـلام يمكن أن تخضع جماعات متنوعـة لمنهجه العام الذي يقوم علـى أسـاس العبودية لله وحـده، ولو لم يعتقـد بعض هذه الجماعـات عقيدة الإسـلام ، والـذي يدرك طبيعة هـذا الدين -علـى النحو المتقدم- يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف»(ص64).

أما كان ابن تيمية هو إمام أهل السنة كما يدعون؟ فقد قال نافيًا دخول السياسـة في المسـائل الدينية ، والتوجه الإخواني في حتمية الانطلاق الحركي بالسيف، وإزالة أنظمة الدولة السياسية بالقوة، فقال:

أولًا: إن الإيـمان بـالله ورسـوله ﷺ في كل زمان ومكان أهم من مسـألة الإمامة.

ثانيًـا: لم يذكـر الرسـول ﷺ الإمامة لأحد من الناس حـين كان يدعوهم إلى الإسلام.

ثالثًا: إن الرسـول ﷺ بـين للناس أمور الصلاة والـزكاة والصيام والحج وسائر الواجبات الدينية ولم يذكر الإمامة أو الخلافة .

رابعًا: إن أهم أمر في الدين هو الصلاة والجهاد وليس الإمارة أو الخلافة. (راجـع د. مصطفـى حلمي ، نظام الخلافة في الفكر الإسـلامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ، 2004، ص44).

الدين الذي جاء به (سـيد قطب) يخالف ديننا، الآن يعلن (سـيد قطب) أنـه جـاء بدين يخالـف دين الإسـلام الـذي عهدناه، هـذا الديـن لا يعترف بالعقيـدة أولًا، وإنما يعترف بالانصياع للسـيف، دين فيه السـلطة هي الغاية

الكبرى، وليس التوحيد، وقول «لا اله إلا الله» لا تعني إلا النفاق والكذب والتقية، لأن جماعات لا تعتقد بعقيدة الإسلام بل إذعانًا لخوف السيف، أي نوع من الحرية في العقيدة هذه، فقد عبد الناس خوفا للناس باسم الدين؟ ألم تكن هذه هي العبودية المتعجرفة؟ هل كان أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ينشرون الدين بهذا الشكل؟ ألم يقل الصديق للناس«لما بويع بالخلافة بعد بيعة السقيفة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: « **أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم**». (محمود شريف بسيوني ، الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان ، المجلد الثاني ، دار الشروق، القاهرة ، 2003).

الإرهاب هو الذي يدمر الصوامع والبيع والمساجد:

ويمارس (سيد قطب) هوايته بتكرار ما قاله (ص55) بالنص في (ص67) فيما رواه عن(زاد المعاد لابن قيم الجوزية) تكرارًا مللنا منه، ثم يضيف استخدام آية من القرآن الكريم لا تحتاج إلى تفسير المفسرين ، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج 40)، يقول (سيد قطب): «لقد بين الله للمؤمنين في أول ما نزل من الآيات التي أذن لهم بالقتال أن الشأن الدائم

الأصيـل في طبيعـة هـذه الحياة الدنيـا أن يدفع الناس بعضهـم ببعض، لدفع الفساد عن الأرض»(ص68).

إن هذه الآية تخاطب الذين أخرجوا من ديارهم، وهذا عدوان يجب الرد عليه، لأن الله لا يحب المعتدين ، والنتيجة أن دفع الناس بعضهم ببعض إحياء ومحافظة على الصوامع والبيع والصلوات والمساجد التي يذكر فيها اسم الله، وهذا الدفع سنة الله في أرضه ليعيش الناس على اختلافهم، وخاصة في الدين والعقيدة، لأن الصوامع والبيع ليست للمسلمين وإنما للديانات الأخرى.

المجتمع الحركي للإخوان:

ويسـتمر (سـيد قطب) في التربية الحركية للإخوان فيعظـم لهم أوهامهم فيقول: « هذا هو حجر الأسـاس في إعداد شـخصية العربي لإنشـاء المجتمع المسـلم الخاضـع لقيـادة موجـه، المترقـي المتحـضر غـير الهمجـي أو القبلي» (ص70).

قـال (شـخصية العـربي) وقد نفى أن يكـون للجنس العـربي مكانة متميزة في الإسـلام للجميـع، لا فـرق بين عربي ولا عجمي، هل هذه سـقطة لسـان؟ ثـم قـال (المجتمع المتحضر) هل المجتمع المتحـضر يقوم على الصراع والخداع والغش؟ هل المجتمع المتحضر لا يعـرف العلم والتطور والعقل؟ هل المجتمع المتحضر لا يعرف العدل والمساواة بين الناس مهما اختلفوا في أصولهم ودياناتهم وأجناسـهم ؟وأي قيـادة موجهـة؟ أي توجه لهذه القيـادة؟ هـل مـن مرشـد أو من نبي أو مـن عقـل إنســاني ؟ثم قـال (غير الهمجي أو القبـلي) هل كان (سـيد قطب) يبشـر بدولـة أو بأمة ـ أو بإمـارة بعيـدة عن القبيلـة أو الهمج،

وخاصة عصابة الإخوان فيما يتصورونه الحق وغيرهم محكوم عليهم بالانصياع لأوامرهم؟ أي همجية وأي قبلية روج لها الإخوان فيما تصوره؟ ألم يتحول الإسلام «من دعوة ودين إلى ثارات وذحول تنسى معها وجهته الأساسية، وهو في مبدئه فلا تذكر أبدًا وربما كان ذلك أيضًا اجتنابًا لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت، فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة، وهي التي تعذب المؤمنين وتفتنهم» (ص70)، هذا هو بالضبط ما فعله (سيد قطب) وعصابته في مصر بعد أن تولى محمد مرسي مقاليد الحكم، أن تحول النزاع بين الأسر أفرادًا وجماعات؛ إذ كفر الناس بعضهم بعضًا واعتدى الإخوة بعضهم على بعض.

هكذا حذرنا رسول الله ﷺ من خوارج هذا الزمان وكل زمان في حديث الأعمش، عن خيثمة، عن سويد بن غفلة، عن علي رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج قوم في آخر الزمان، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة**» (رواه البخاري -3611- في المناقب).

مراتب الجهاد عند المسلمين:

لو أنصف (سيد قطب) لرجع إلى كتب الدين المعتبرة، كما رجع إليها كثير من الباحثين، ومن بينهم الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحسين، الذي هذب (زاد المعاد لابن القيم) حتى يقدم للقراء معالم الدين السمح وللمؤمنين زادًا للقلب والروح معًا، ومن هذا الكتاب ومن غيره أنه من أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله نتبين أن للجهاد أربع مراتب: «**جهاد النفس، وجهاد الشيطان،**

وجهاد الكفار، وجهاد أهل البدع والمنكرات» .

جهاد النفس أربع مراتب:

1- أن يجاهدها على أن تعلم الهدى ودين الحق.

2- أن يجاهدها على العمل به بعد علمه .

3- أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه .

4- أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله .

أما جهاد الشيطان فمرتبتان:

1-جهاده باليقين على دفع ما يلقى من الشبهات القادحة في الإيمان .

2-جهاده بالصبر والصلاة على دفع ما يلقى من الشهوات.

أما جهاد الكفار فمرتبتان : الأولي باللسان، والثانية بالنفس والمال .

أما جهاد أهل البدع والمنكرات فثلاث مراتب:

1- باليد إذا قدر .

2- فإن عجز انتقل إلى اللسان .

3- فإن عجز جاهد بقلبه، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل .(قارن مهذب زاد الميعاد لابن القيم ، تهذيب سعد بن عبد الرحمن الحسين ، طبع شركة عبد العزيز ومحمد العبد الله، الأردن ، سنة 2002 ميلادية ، ص112 - 113).

اتهام الباحثين الإسلاميين المعاصرين:

أولًا: أنهم مهزومون تحت ضغط الواقع الحاضر.

إن الدين الإسلامي دين عالمي يتجاوب وتطلعات الإنسان في أي زمان وفي أي مكان، وسمته الأساسية أنه عقلاني، ومن غير المعقول أن يقال عن الإسلام إنه انتشر بحد السيف، والواقع يثبت أن طبيعته الصوفية بما له من خطاب للروح ساعدت بشكل كبير على انتشار الإسلام في كل بقاع الدنيا شرقها وغربها، ولم يلاحظ أنه رفع السيف على الناس حتى يقبلوا هذا الدين (النحل 125)، وانما قبل الناس هذا الدين لأنه يخاطب القلب والروح والعقل، ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾، فلا يمكن أن يكون الدين الخاتم مفروضًا على البشرية، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ (الإسراء 70) وإنما المهزومون هم الذين لا يمارسون شعائر الدين أو يلاحقون لأنهم مسلمون، وهذا مخالف لحقوق الإنسان في أي مكان، لأن الإنسان حر في اختيار دينه وحر في ممارسة شعائره.

ثانيًا: أنهم مهزومون تحت الهجوم الاستشراقي الماكر.

ومن يلاحظ تاريخ الاستشراق يدرك أن البحوث تناولت الاستشراق بكل موضوعية ونزاهة، وقد صنفوا المستشرقين إلى فرق لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، بحيث تجاوزنا مرحلة التلمذة بنجاح، صحيح أن لهم الفضل فيما وصلنا إليه من علم وفهم وإدراك، لكن المسلمين الأول كان لهم السبق بما فتح الله به على الناس جميعًا من علوم وفقه وفلسفة، وكان للمستشرقين نصيب من هذا الفتح، وخاصة أن العقلية المسلمة المتفتحة وعت الدرس

ولم يغب عنها إسهام الحضارة الإسلامية على غيرها من الحضارات، حتى يتيه الإنسان المسلم بها ورث دينًا وعلمًا وحضارة على العالمين، ولم يكن أبدًا مهزومًا، بل كان منتصرًا دائمًا أبدًا وعلى طول الخط.

القضية السادسة
لا إله إلا اللّه منهج حياة

قـدم (سـيد قطـب) لهـذا الموضـوع بمقدمـة لا يختلـف عليها اثنـان أن: «العبودية لله وحده هي شطر الركن الأول في العقيدة الإسلامية في شهادة أن لا إله إلا الله ، والتلقي عن رسـول الله ﷺ في كيفية هذه العبودية هو الشـطر الثاني، المتمثل في شـهادة أن محمدًا رسـول الله ... والصلاة والزكاة والصيام والحـج، ثم الحدود والتعازير والحـل والحرمة» (ص83) إذ قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ (آية 40 يوسف).

لكنـه في هـذه المقدمـة التي نسـلم بهـا ، أورد بالنص تفصيـلًا نختلف عليـه وهـو: «..المعامـلات والتشريعـات والتوجيهـات...» لأن المعاملات والتشريعـات مختلـف عليها، برغم أنها في إطـار توجيهات الله تعالى في قرآنه وسنة نبيه ﷺ الصحيحة وقول الفقهاء أن يعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، فكثير منها مختلف عليه بين الفقهاء نتيجة لقناعاتهم .

منهـج حيـاة الأمـة المسلمـة:

وضع (سيد قطب): «التقرير الموجز المطلق الحاسم يفيدنا في تحديد كلمة الفصل في قضايا أساسية في حقيقة هذا الدين، وفي حركته الواقعية كذلك:

1- طبيعة المجتمع المسلم .

2- منهج نشأة المجتمع المسلم .

3- منهج الإسلام في مواجهة المجتمعات الجاهلية .

4- منهج الإسلام في مواجهة واقع الحياة البشرية» (ص84).

1- طبيعة المجتمع المسلم:

إن أولى خطوات (سيد قطب) في منهج حياة الأمة هي: «أن السمة الأولى المميزة لطبيعة المجتمع المسلم هي أن هذا المجتمع يقوم على قاعدة العبودية لله وحده في أمره كله ... وتتمثل هذه العبودية في التصور الاعتقادي، كما تتمثل في الشعائر التعبدية، كما تتمثل في الشرائع القانونية سواء» (ص84 ، 85).

ويكرر (سيد قطب) ما ذكره من قبل (ص83 ، 84) حتى الشرائع القانونية، ونسي أن القرآن وسنة النبي العظيم خلَوا من كلمة (القانون أو القانونية) بالإضافة إلى (الشرائع) وهي كلمات حديثة نستخدمها في المحاكم وكتب القانون، وباستخدام خاص إنساني وليس إلهيًّا.

ومن ثم فإن (سيد قطب) يقول: «وليس عبدًا لله وحده من يتلقى الشرائع القانونية من أحد سوى الله» (ص85).

خلط في المصطلحات:

يخلط الإخوان تعمدًا بين الشرع.. والشريعة .. والشرعية؛ الشرع شرع الله بيّنه في كتابه وسنة نبيه ﷺ ، ولا خلاف عليه بين الناس، أما الشريعة فهي

إنسـانية؛ أي مـن صنع بشر مختلفـين في التوجه العقلي وفي الأدلـة المنطقية في فهم كتاب الله وسـنة نبيه ﷺ ، وهي خلافية بين الفقهاء وأصحاب المذاهب والفـرق، لأنها من صنع الناس. أما الشرعية أو القانونية أو الدسـتورية فإنها مصطلحـات قانونية مكانها المحاكم المدنية ولا علاقة لها بالشرع أو بالشريعة مطلقًا ، لذلك خلط (سيد قطب) وهو يعلم كل هذه الفروق لحاجة في نفسه، حتى يثبت جهالة المجتمع وكفره ما دام تلقى شرائع قانونية من أحد غير الله، فقانون المرور يجب أن نتلقاه من الله، وقانون العمل وقانون الضرائب وقانون الجامعات وقانون الهجرة وغيرها من القوانين يجب أن نبحث عنها في القرآن أو في سنة النبي العدنان، ناهيك عن أن القوانين والنظريات العلمية موجودة في القرآن والسنة بنصها ورموزها.

وفي النهاية لم نحصل على طبيعة المجتمع المسـلم فيما قاله (سـيد قطب) إلا أن: «المجتمع المسـلم هو المجتمع الـذي تتمثل العبودية لله وحده في معتقدات أفـراده وتصوراتهم، كما تتمثل في شـعائرهم وعباداتهـم ، كما تتمثل في نظامهم الجماعـي وتشريعاتهم .. وأيـما جانب من هذه الجوانب تخلف عن الوجود فقد تخلف الإسـلام نفسـه عن الوجود، لتخلف ركنه الأول، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسـول الله». أي أن طبيعة المجتمع المسلم عند (سيد قطب) محـددة بنظام اجتماعـي مغلق لا يتجاوب مـع التطور، صارم مـن أول لحظة، والنـاس على نسـق واحد والجزاء والعقوبـة واحدة ، فلا مـكان لآيات تدرج التحريم، ولا معنى لتفاوت الحدود والجزاءات، فما حكمة الآيات المتشابهات في القرآن،وقول النبي المصطفى ﷺ للناس: «**أنتم أعلم بشئون دنياكم**»؟

2- نشأة المجتمع المسلم عند سيد قطب:

نشأة ضرورية لعصبية الجماعة:

تساءل (سيد قطب): «كيف ينشأ هذا المجتمع؟ ما منهج هذه النشأة؟ إن هذا المجتمع لا يقوم حتى تنشأ جماعة من الناس تقرر أن عبوديتها الكاملة لله وحده، وأنها لا تدين بالعبودية لغير الله... عندئذ - عندئذ فقط - تكون هذه الجماعة مسلمة، ويكون هذا المجتمع الذي أقامته مسلمًا كذلك. فأما قبل أن يقرر ناس من الناس إخلاص عبوديتهم لله - على النحو الذي تقدم - فإنهم لا يكونون مسلمين» (ص86، 87).

أكد (سيد قطب) أن نشأة الجماعة ضرورة حتمية في نشأة المجتمع، وهذا معناه أن المجتمع المسلم منذ بعثة النبي ﷺ حتى الآن لم يوجد ولم يكن له حضارة ولا ريادة، والآن فقط يزعم (سيد قطب) أنه يبشر بنشأة المجتمع المسلم، وكأنه يقول للتاريخ توقف لتبدأ من أول السطر، وإن المجتمع الموجود الآن ليس مسلمًا وإن توهم إسلامه، والإخوان المسلمين هم أصحاب الفضل في إنشاء المجتمع المسلم سواء في سنة 1928 أو سنة 1964، أي تاريخ يعلنونه تاريخًا للجماعة، أما قبل ذلك فلا يكون للإسلام معنى، لأنه مرتبط بوجود جماعة الإخوان المسلمين، أي وهم هذا؟! وأي تزييف ذلك؟! وأي إنكار للنبوة المحمدية في أظهر تجلياتها؟ ألم يكن هذا الإعلان على لسان (سيد قطب) بكفر الناس أحرى بأن يبوء به وبجماعته؟

الحرب على المجتمع:

وهكذا يؤكد (سيد قطب) أن: «المجتمع المسلم (الجديد) لا ينشأ ولا (يتقرر) وجوده إلا إذا بلغ درجة من القوة يواجه بها ضغط المجتمع الجاهلي (القديم)» (ص88).

إن (سـيد قطـب) عندمـا يذكـر كلمـة (الجديد) إشـارة لمجتمـع جديد، وكأن المجتمـع المسـلم والحضـارة المسـلمة قد نالهما من الفسـاد مـا طرأ على الأمم السـابقة ولا خير فيهما جميعًا في نظر (سـيد قطب)، ثم يشير إلى أن هذا المجتمـع الجديـد لا يبلغ الكمال إلا إذا كان له قوة يوجـه بها المجتمع الجاهلي القديم. وكأن (سـيد قطب) في أحـلام اليقظة تصور المجتمع الجاهلي القديم على حاله؛ أي الفرس والروم والأسـباط وعابدي الأصنام!! أنا أشك في أن قوى التركيز عند سـيد قطب كانت على سـلامتها، وأنا لا أشـك في أن سيد قطب تعرض لصدمة في أمريكا حالت بينه وبين العقل الرشيد؛ لأن المجتمع الجاهلي القديم زالت دولته، وما زال الإسـلام شـامخًا مهما تعرض للتشـويه واللبس وقيام جماعات وعصابات وأقلام ومطابع تمارس هذا العدوان حتى الآن وآخرها جماعة الإخوان بمالها وعتادها وعقولها ونفوسها المريضة.

3- مواجهة المجتمعات الجاهلية:

صنوف المجتمع الجاهلي عند سيد قطب:

«إن المجتمـع الجاهـلي هو كل مجتمـع غير مسـلـم ...إنـه هو كل مجتمـع لا يخلص عبودية لله وحده، متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي، وفي الشعائر التعبدية، وفي الشرائع القانونية» (ص88، 89).

إن قيـاس عقيـدة المجتمع لا يمكـن إلا بمؤشرات واقعيـة تعبدية تخص العلاقة بين الخالق والمخلوق، أما القانون الحاكم لمؤسسات الدولة والمجتمع فعلاقتـه بالنمـط الأخلاقي لهـذه العقيدة؛ لـذا فمبادئ الشريعة الإسـلامية هـي المقصـودة بالأخلاق، وقد تَّبـين أنها الآيات أو الأحـكام قطعية الدلالة

قطعية الثبوت، وما خلاف ذلك آيات وأحكام مختلف فيها؛ لأن القرآن حمال أوجه.

1- المجتمعات الشيوعية

إن الفكـر الشـيوعي ظهر مع «لوثـر (1483 - 1564) Luther ، ثم كالفن Calvin 1564، ثـم أخـيرًا ماركس 1883 وإنجلـز 1893» وما كان ليظهر لولا انغماس الكنيسة في أوربا في الحياة السياسية، مخافة دعوى «دع ما لقيصر لقيـصر ومـا لله لله»، حتى يتفرغ العابدون لعبادة الله وحده، ثم إن الشـيوعية بـدأت في الظهـور بعـد أن قصدت الـدول بأنظمتها من العبوديـة والرق إلى نظـام الإقطاع وفسـاد أصحـاب الأراضي وفي النهاية ظهر النظام الرأسـمالي بـكل مسـاوئه؛ لذا فقد ظهرت الشـيوعية كـرد فعل للرأسـمالية وانتهازيتها الاستعمارية المقيتة .

قـد تتبـع فريدريـك إنجلـز (Frediricue Engeles 1895 - 1820) علاقـة المسيحية بالظروف السسيواقتصادية، فاستنتج أنها لعبت وظيفة أيديولوجية في كل مرحلة من مراحلها التاريخية، فداخل الإمبراطورية الرومانية قد غطت كل الثـورات التـي قامت بها الطبقات المضطهدة، وفي العصور الوسـطى قد كانت مصدرًا للوثوقيات التي روجتها الكنيسـة في سـيطرتها الاجتماعية، كما كانـت البروتسـتانتية الإصلاحيـة أيديولوجيا روجتهـا البرجوازية في عصر الأنوار لتمـرر مشـاريعها المجتمعية وللسـيطرة على الطبقـات الدنيـا، لكنه لم يتوقع نهايتها الحتمية كما فعل ماركس، ولكن تنبأ بأن تأخذ أشكالًا أخرى بعد انتصار البروليتاريا.

هكـذا يبدو أن تاريـخ العلاقات النظرية بين الدين والسياسـة في الغرب عبارة عن محطات اقتطعت عبرها السياسـة لنفسـها حيزًا خاصًّا تمكنت على أثره من تعيين مجال مستقل عن الدين، فقد استطاعت أن تبني لنفسها شرعية خاصـة لا تمـر عبر ممـر الكنيسـة، وبالتالي نجحـت في تكوين سـلطة قانونية مسـتقلة، وأن تنزع القداسة عن ممارسة الحكام والدولة بإخضاعها للمناقشة والمحاسبة والمسئولية . (عبد الحكيم أبو اللوز، العلاقة بين الدين والسياسة، إيلاف، العدد 4533، أكتوبر 2013).

أما وصف (سيد قطب): «أولًا: بإلحادها في الله –سبحانه –وبانكار وجوده أصلًا وإرجاع الفاعلية في هذا الوجود إلى (المادة) أو (الطبيعة)، وإرجاع الفاعلية في حياة الإنسان وتاريخه إلى (الاقتصاد) أو (أدوات الإنتاج)» (ص89).

هل أوربا الآن في شقاق مع المسيحية، بحيث عطلت الكنائـس أو الأديرة، أم مـا زالت الدولة ملتزمة بحماية دور العبادة، وللرهبان والقساوسـة مكان محـترم في صدر المشـهد الأوروبي الآن؟ هل كان عـلى العلماء عندما يدخلون المختـبرات أن يثبتـوا أن الـروح هـي التي تحرك الجسـم؟ هـل كان يعقل أن المختبرات تضع لله – سبحانه وتعالى – مكانًا تختبره فيه؟ في الطبيعي أن تخلو المختـبرات من الأرواح ومن العفاريت والشـياطين وغير ذلك مما لا يـرى أو يحـس، سـواء كان مسـلمًا أو مسـيحيًّا أو يهوديًّـا أو بغير ديـن؛ لأن هؤلاء العلـماء صناعتهـم المـادة والطبيعة، والإنسـان بما أنـه كائن طبيعـي له تاريخ ويؤثـر في أدوات الإنتـاج ، هـذا في أوربـا وليس في دول وممالك المسـلمين، إذًا فالحرب ليست عندنا ولا في بلادنا والإلحاد ليس من طبعنا ولا شيمتنا.

ثـم قال (سـيد قطب): «ثانيًا: بإقامـة نظام العبودية فيـه للحزب... لا لله سبحانه! ومـا يترتب على هـذا النظام من إهـدار لخصائص الإنسـان ... في العقيـدة في الله، وحرية اختيارها، وحرية التعبير عنها ، وكذلك حرية التعبير عن فرديته التي تتجلى في الملكية الفردية، وفي اختيار نوع العمل والتخصص، وفي التعبير الفني عن الذات» (ص89).

ويبدو أن (سـيد قطب) لم يقرأ عن الدول الشـيوعية إلا ما بثه الأمريكان من تشـويه للشـيوعية، أنها ضد الدين والله، وأن الشـيوعية ليس فيها ملكية فردية، وليس بين الشـيوعيين أديب ولا شاعر، وهذا مجافٍ للحقيقة وملطخ بالزيف والكذب، والدليل أن الشـعراء والفنانـين يملئون صفحات الجرائد والمحال والمعارض ودور السـينما والمسـارح، والغريب أن بلادنا يحرم عليها كل أصناف الفنون، والمسـيحيون يهجرون وتخرب كنائسـهم ويقتلون باسم الديـن، عـن أي حريـة يتكلمون؟ وعـن أي عقيدة يتحدثـون؟ وهل الملكية الفردية والدفاع عنها نظام إسـلامي أصيل، أم أن السـؤال من أين اكتسـبت هـذا المال أولى وأطهر؟ألم يعلم (سـيد قطب) كيـف كان توزيع الأرض على أصحـاب الحظوة بآلاف الأفدنة بلا ثمـن ولا ورث؟ اقرءوا التاريخ قبل أن تحكمـوا عـلى الناس بالإلحـاد أو بمعـاداة الملكية الفردية، هل حارب (سـيد قطب) الدول الشـيوعية حتى يعودوا إلى الإسـلام، أم كان يحارب كمرتزقة مأجوريـن من المخابـرات الأمريكيـة بالوكالة حتى تزول دولة روسـيا التي سـاعدتنا عـلى أن ننهض ببلدنـا أيام السـد العالي وقبلها في حـرب 1956؟ وكثيرًا ما سـاعد السـوفييت كل دول العالم حتى ينعموا بحريتهم، وينهضوا بأوطانهم، هل تسوي بين المستعمر الغاصب والمساعد على التحرر والتنمية؟

هـل كان للإخـوان معسـكر ضمن المعسـكرات المحاربة في الشيشـان أو في أفغانسـتان أو في غيرها، أم كانوا مسـتترين في عباءة غيرهم؟ وهل اسـتطاع الإخوان أن يحولوا تلك البلدان من الشيوعية إلى الإسلام؟

2- المجتمعات الوثنية:

الهنـد واليابان والفلبين وإفريقيا تدخل في هذه المجتمعات الوثنية كما قال (سـيد قطب) لأنهـا: «**أولًا:** بتصورها الاعتقادي القائم عـلى تأليه غير الله – معه أو من دونه –... **وثانيًا:** بتقديم الشعائر التعبدية لشتى الآلهة والمعبودات التي تعتقد بألوهيتها» (ص89).

إن الحضـارة الهنديـة والصينيـة وغيرها مـن الحضارات الشرقيـة القديمة لهـا معبوداتهـا وعباداتها، نمـط متميز من الحضـارات والمجتمعات في نظامها وأخلاقها وأدبها يخالف بقية الجماعات الإنسـانية، وقد اكتشـفت الدراسـات الاسـتقرائية مؤخـرًا أن النصوص الدينيـة الأولى للأديان الشرقيـة القديمة: البرهمية (الهندوسـية)، البوذية، الكونفوشيوسـية، الزرادشـتية، مع نصوص القـرآن الكريـم تشـير إلى عقيدة واحدة مشـتركة بـين تلك الأديـان و القرآن الكريـم. وتجمع الجزئيات العقائديـة والتشريعية في هذه النصوص إلى نتيجة عامة واحدة مشتركة في نصوص تلك الأديان ونصوص القرآن الكريم. وأن الأديان الشرقية القديمة: البرهمية (الهندوسـية)، والبوذية والكونفوشيوسية، والزرادشـتية، هي أديان سـماوية، ودعاتها الأوائل كانوا أنبياء أرسلهم الله إلى أهـل تلـك البلـدان. (د. علي عبد الواحد وافي، الأسـفار المقدسـة في الأديان السابقة للإسلام، مكتبة نهضة مصر، 1964، ص126).

والمشكلة عند (سيد قطب) أن هذه المجتمعات: «استمدت أنظمتها من هيئات مدنية (علمانية) تملك سلطة التشريع دون الرجوع إلى شريعة الله؛ أي أن لها الحاكمية العليا باسم (الشعب) أو باسم (الحزب) أو باسم كائن من كان، ذلك أن الحاكمية العليا لا تكون إلا لله سبحانه، ولا تزول إلا بالطريقة التي بلغها عنه رسله» (ص90).

مرة أخرى يكرر (الحاكمية) كأنها نظام إسلامي معتبر، وقد بان تهاونه، واعتبر (الشعب) أو (الحزب) انحرافًا عن شرع الله، ونسي أن أهل السقيفة هم الذين اختاروا أبا بكر خليفة لرسول الله ﷺ. وفي نهاية النص يقول: «لا تزول إلا بالطريقة التي بلغها عنه رسله»، ولم أدر هذه الطريقة التي بلغها رسل الله، وإذا لم يتعين على المسلمين حكمهم نظامًا وتشريعًا فكيف يتعين أن يزول الحكم بما بلغ للرسل؟ ولو رجع (سيد قطب) إلى كتب التاريخ لكان له رأي آخر، خاصة كتاب البداية والنهاية لابن كثير، وأي جزء يختار فلن يجد إلا قتلًا وسفكًا للدماء وآلاف المساجين يعذبون ويهانون في دولة الإسلام.

ماذا فعل الإخوان حتى ينشروا الإسلام في هذه البلدان؟ خاصة أن المرشد «مهدي عاكف» قد أشار إلى ترحيبه برئيس إندونيسي أو فنزويلي ليحكم مصر، بدلًا من الهجرة إلى مصر ليحكمها يذهب إلى بلاد قريبة منه لينشر الإسلام فيها، والغريب أن المبعوثين إلى جامعة الأزهر من هذه البلاد يحملون الإسلام الوسطي وينشرونه في بلادهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم ينشروه بالسيف أو بالقتال أو الجهاد كما زعم (سيد قطب) وجماعته.

3- **المجتمعات اليهودية والنصرانية:**

يقول (سيد قطب): «أولًا: بتصورها الاعتقادي المحرف الذي لا يفرد الله - سبحانه- بالألوهية بل يجعل له شركاء في صورة من صور الشرك، سواء بالبنوة أو بالتثليث، أو بتصور الله على غير حقيقته، وتصور علاقة خلقه به على غير حقيقتها... (وثانيًا) بشعائرها التعبدية ومراسمها وطقوسها المنبثقة من التصورات الاعتقادية المنحرفة الضالة» (ص90، 91).

الله – تعالى – قال في قرآنه الكريم على لسان سيد المرسلين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون 6)، وقد جادل الله سبحانه أهل الكتاب ليبين لهم أن ما زعموه باطلٌ ، لكنه لم يعلن الحرب عليهم وإنما أجَّلهم ليوم القيامة ، حتى يحكم الله بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات السابقة .

ولكن (سيد قطب) يعلن أن اليهود والنصارى يقيمون: «هيئات من البشر، لها حق الحاكمية العليا التي لا تكون إلا لله سبحانه ... لأنهم جعلوا هذا الحق للأحبار والرهبان ، يشرعون لهم من عند أنفسهم فيقبلون منهم ما يشرعونه...ويعترفون لهم بحق الحاكمية ...فأولى أن يوصموا اليوم بالشرك والكفر» (ص91).

التهمة الجاهزة لكل عصر ودين هي مخالفة (الحاكمية) سواء قبل الإسلام أو بعده إلى يومنا هذا، وإذا تحققت التهمة على قوم كان وصمهم بالشرك والكفر، وهؤلاء كان مآلهم القتل أو ينفون من الأرض، ذلك حكم (سيد قطب) وإخوانه على الناس أجمعين.

حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ووجوب حماية دور العبادة:

يقول الدكتور أحمد عبدالرحيم السائح أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر: فالذين يعيشون مع المسلمين في المجتمع الإسلامي من غير المسلمين أظهر لهم الدين من التسامح المفضي إلى التعايش، ليس فقط ما يكفل لهم حرية ممارسة عقائدهم، ولكن كذلك ما يجعلهم مواطنين في هذا المجتمع مندمجين فيه موفوري الحرية والكرامة، غير منعزلين ولا مهمشين، كما نهى الله - تبارك وتعالى- عن مجادلة المسلمين لغيرهم لا سيما أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (العنكبوت 46) فالإسلام دين يُعنى بالفرد والجماعة معًا، ويسعى إلى قيام مجتمع متآخٍ ومتكافل، تسوده الحرية والتسامح، ويشعر فيه كل واحد بمسئولية بنائه، والحفاظ عليه.

كما كفل الدين الإسلامي الحنيف حرية ممارسة غير المسلمين لعقيدتهم، في طقوسها وشعائرها ومختلف مراسمها ومظاهرها الاحتفالية، مع الإقرار لهم بأيام العطل والأعياد، والسماح بإقامة أماكن العبادة، والسهر عليها بالمحافظة والصيانة والتنظيم، واحترام عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، إلى حد أنه إذا طلب أحد المشركين من مسلم أن يؤمِّنه ويحميه فعليه أن يستجيب له حتى لا يصيبه سوء، إلى أن يصل إلى مكان أمنه، وهو منزله أو مقر قومه يقول تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾ (التوبة 6)، ويبلغ هذا التسامح مداه عند الممارسة والتطبيق على صعيد المجتمع كله انطلاقًا من توجيهات الرسول صلوات الله وسلامه

عليـه حـين قال: «من آذى ذميًا فأنا خصمه ومـن كنت خصمه خاصمته يوم القيامة» وهي توجيهات نفذها الخلفاء الراشدون، وقادة الفتح الإسلامي في جميع ما عقدوا من عهود ومواثيق .

كما أن أحكام الإسلام المنزلة من الله والمبينة بسنة رسوله تدل على أن أمن غير المسـلمين الذين يعيشـون في المجتمع الإسـلامي على أنفسـهم وأموالهم وأعراضهـم مضمون مـا داموا ملتزمين بـها تقضي به الأحـكام وهي أحكام واضحـة أوجبها الإسـلام، ولم توجبها المصالح المتبادلة بين المسـلمين وغير المسـلمين ولم تلـزم بهـا المسـلمين قواعـد القانون الـدولي أو المعاهـدات بين الدول الإسلامية وغيرها، لأن هذه الأحكام جانب مهم من شريعة الإسلام الكاملة، يجب على الدولة الإسـلامية تطبيقها والعمل بها، فهي واجب ديني قبل أن تكون مصلحة سياسية أو التزامًا دوليًّا.

فالإسلام يقيم مجتمعًا إنسانيًّا راقيًا، وهو لذلك يقيم العلاقة بين الناس جميعًا على أسس وطيدة من العدل والبر والرحمة، ولم يترك الإسلام العلاقة مع غير المسـلمين لتقلبات المصالح والأهواء، أو لنزعات التعصب العرقي أو اللوني أو الديني. وتتميز القواعد التي وضعها الإسلام لتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهـم في المجتمـع الإسـلامي بالسـماحة واليسر وحفـظ الحقوق وتجنب الظلـم كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء 70)

وتكفـل أحـكام الشريعة أن يتمتع غير المسـلمين ممن يعيشـون في المجتمع الإسـلامي بالأمن على حياتهم وأموالهم وأعراضهم، وهذه الحماية مسـتمرة

سواء أكانوا من المعاهدين والمستأمنين أم من أهل الوطن، وما داموا ملتزمين بالعهد، فأمن الذميين على أنفسهم وأبدانهم مضمون بالشريعة، لأن الأنفس والأبدان معصومة باتفاق المسلمين، يقول الرسول ﷺ: «من قتل معاهدًا لم يَرَحْ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»، وقال الإمامان مالك والليث: «إذا قتل المسلم الذمي غيره يقتل به» وذهب الشعبي وأبوحنيفة إلى قتل المسلم بالذمي لعموم النصوص الموجبة للقصاص ولاستوائهما في عصمة الدم المؤبدة .

ويقول الدكتور أحمد محمود كريمة، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر: أوضح رسول الله ﷺ حرمة التعرض لرجال الدين اليهودي والمسيحي حين قال: «ستجدون قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له» والقاعدة الذهبية لأئمة الفقه تنص على أن «الراهب والراهبة حران لا يقتلان ولا يؤسران ويترك لهما قدر الكفاية من الوسائل المعيشية، كما حرمت الشريعة الإسلامية هدم معابد غير المسلمين في دار الإسلام فإنها إن كانت في أمصار قديمة فلا شك أن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم حين فتحوا علموا بها وأبقوها في حالات الحرب والسلم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾» (الحج آية: 40).

4- المجتمعات المسلمة التي يدعي (سيد قطب) أنها جاهلية:

يقول عنها (سيد قطب): «أخيرًا يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها (مسلمة) ، ...وهذه المجتمعات لا تدخل

في هذا الإطار لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله، ولأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله» (ص 91).

هكذا يعلن (سيد قطب) تكفير المجتمع الإسلامي كله، رغم أنه موحد بالله ولا يشرك به شيئًا، ويقيم الشعائر الإسلامية جميعها ؛ أي أن الإيمان والإسلام متحققان في هذا المجتمع بحديث رسول الله ﷺ عن عمر بن الخطاب قال: **بينما نحن جلوس عند رسول الله ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه**، وقال: «**يا محمد أخبرني عن الإسلام**». فقال له: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**» قال: «**صدقت**». **فعجبنا له يسأله ويصدقه**، قال: «**أخبرني عن الإيمان**»، قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**». قال: «**صدقت**». قال: «**فأخبرني عن الإحسان**»، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» قال: «**فأخبرني عن الساعة**»، قال: «**ما المسئول بأعلم من السائل**». قال: «**فأخبرني عن أماراتها**»، قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**» **ثم انطلق فلبث مليًا**، ثم قال: «**يا عمر، أتدري من السائل؟**». قلت: «**الله ورسوله أعلم**». قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» رواه مسلم .

ثم يكمل (سيد قطب) أن هذا المجتمع جاهلي وكافر: «لأنه لا يدين بالعبودية لله وحده في نظام حياته ...فيدين بحاكمية غير الله ، فيتلقى من

هـذه الحاكمية نظامها، وشرائعهـا وقيمها، وموازينهـا، وعاداتها وتقاليدها، وكل مقومـات حياتهـا تقريبًا» (ص91، 92)، وقد استشـهد بقوله تعـالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (المائدة آية 44).

قال الإمام أحمد في مسنده (1/ 246) ورواه أبو داود في سننه في الأقضية، بـاب في القاضي يخطئ حديث (3576) من طريق زيد بن أبي الزرقاء حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وقـولـه: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ وقـولـه: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ هـذه الآيات الثلاث نزلت في اليهود خاصة في قريظـة والنضـير، والحديث ذكره السـيوطي في الدر المنثـور (2/ 498)، وزاد نسـبه لابن جرير وابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه، وقال الألباني في صحيح أبي داود (3053): حسـن صحيح الإسناد، ولم يذكر ابن كثير في معنى هذه الآيات وتفسـيرها إشـارة للحكم السـياسي ولا الحكومة ولا الحاكم، فما بال النظام والسـلطة والشعب والقوانين المعمول بها في إطار الدولة الحديثة؟

(سيد قطب) يكفر الدولة الحديثة

لأنـه لا يعـترف بقيمـة العلم كأسـاس لقيـام المجتمع المسـلم؛ إذ يقول: «وهذه المجتمعات بعضها يعلن صراحة (علمانيته) وأنه ينكر (الغيبية) ويقيم نظامه على (العلمية) باعتبار أن العلمية تناقضها، وهذا زعم جاهل لا يقوم به إلا الجهال» (ص92-93).

أولًا: هذا تلبيس للحقيقة ، لأن العلوم التجريبية جميعها لا مكان للغيبيات فيها، فالغيب دين ويجب ألا يتحدث عالم الكيمياء مثلًا عن الغيب إلا إذا خرج عن إطار العلم وتحدث عن الدين، فالماء يتكون من جزيء أكسجين وجزيئي نيتروجين ولم يضف إليهما عنصري غيب من الجن أو الملائكة، وإذا ضربنا 2×5=10 ولا علاقة لإيماننا بالصراط أو بالجنة أو بالنار يوم القيامة، لأن مكان هذا الإيمان هو الدين وليس العلم، ولا أقول في الفلك قانون مسيحي أو مسلم أو يهودي، الفلك فلك، والكيمياء كيمياء ، والطب طب.

ثانيًا: تلبيس آخر للحقيقة، أن العلم يناقض الدين، وأن قيام المجتمع على العلمية يناقض الدين، لأن التناقض يجعلنا إما أن نقبل العلم ونتنازل عن الدين وإما العكس نقبل الدين ونحارب العلم ، هذا هو الحال عند (سيد قطب)، وهذا هو الجهل المركب، لأن العلاقة بين الدين والعلم تكاملية، لأن المناهج مختلفة لاختلاف الموضوع وليس غير ذلك .

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر 28) ويقول أيضا: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم 1)، ويقول الشاعر: «العلم يبني بيوتًا لا عماد لها، والجهل يهدم بيت العز والشرف» ويقول د. مصطفي محمود: «إذا نزل مؤمن وكافر إلى البحر فلا ينجو إلا من تعلم السباحة، فالله لا يحابي الجهلاء؛ فالمسلم الجاهل سيغرق والكافر المتعلم سينجو».

ثالثًا: اتهام (سيد قطب) لكل مخالف: «أنه يجعل الحاكمية الفعلية لغير الله، ويشرع ما يشاء، ثم يقول عما يشرعه من عند نفسه، هذه شريعة الله! وكلها سواء في أنها لا تقوم على العبودية لله وحده» (ص93).

وهـذا اتهـام لا أصل له دينًا ولا عرفًا، وإنما بدعًـا من خوارج هذا الزمان وكل زمان، هل قال أحد إن قوانين ودساتير أي نظام مهما كانت قيمته أنها من عند الله؟ وهل ادعى إنسان أنه يبدل شرع الله وسنة نبيه ﷺ عن مواضعهما؟ هـل يوجد من يقول للإنسـان إنه عابـد لغير الله؟ إذا قلنا إن القانون إنسـاني والدساتير إنسانية ولا يوجد بيننا عبد إلا لله وحده لا شريك له، ثم يقال إننا نرفض الاعتراف بالإسـلام، فهذا جهل وجهالة مشـهودة من (سـيد قطب) وجماعته.

الله يعلم وأنتم لا تعلمون:

يبشرنـا (سـيد قطـب) بأنه يعلم مـا لا يعلمه أحد فيقـول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ ..والـذي يعلم والذي يخلـق ويـرزق كذلك، هـو الـذي يحكـم (ص 94)، وكأنه يقـول ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهـذا اجتـزاء لمعاني الآيـات، لأن الله يعلم والانسـان يعلم، لكن الفـرق بينهما كبير، فالعلم ينقسـم إلى أربعة أقسـام: الغيـب والروح والعقلي والمـادي وجميعهـا لله ربِّ العالمين، أما الإنسـان فله أن يعلـم العقلي والمادي. هـذه حدوده، ولا قِبَلَ له بعلم الغيـب أو بالروح، قال تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (الإسراء 85).

الخالق هو الله ربُّ العالمين ولا ينازعه أحد من المخلوقين، أما الرزق فلله حكمـه وللعبد سـبيله، قـال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ...﴾ (البقرة 168) وقال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ (النجم: الآيتـان 39 - 40) وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ

ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورًا ﴾ (الإسراء 19).

أما قول (سيد قطب): «هو الذي يحكم» فيعود إلى الحاكمية مرات ومرات ومـرات ولا طائـل في تكرارها رغم أنهـا ممقوتة وغير مقبولـة وأصبحت في متاحف التاريخ فكرة جهنمية على الإنسان أن يستبعدها، والخلافة كذلك .

وفي نهاية هذا الكلام يقول (سـيد قطـب): ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (النسـاء 59) وينسـى أن الخطاب موجه للمسلمين جميعًا فيما هو دينـي، أما الدنيا فالخطـاب النبوي لكل الناس أنهم «أعلم بشـئون دنياكم»، فاذا قال (سـيد قطب): «إن مصدر السـلطات هو الله سـبحانه لا (الشعب) ولا (الحزب) ولا أي من البشر» (ص95) نقول: أين هذا من اختيار أبي بكر الصديق خليفة للمسلمين بعد خلاف دار بين المسلمين ومن بينهم أصحاب رسـول الله ﷺ في سـقيفة بني سـاعدة؟ ولو نص النبي على خلافة أبي بكر لما وقع هذا الخلاف، وتاريخ الدولة الإسـلامية بكل خلفائها وملوكها لم يردوا الأمـر إلى الله ورسـوله وإنما ردوه إلى الشـعب أو العـدوان أو الحيلة –وهي كثـيرة ومتنوعة في سـلاطين المسـلمين – والذي لا يعرف كيـف كانت تولية الخلفاء والسـلاطين والملوك في دولة الإسـلام حتـى انتهت على يد مصطفى كمال أتاتورك فعليه أن يقرأ التاريخ .

القضية السابعة

تلبيس إبليس في (شريعة كونية)

تصور (سيد قطب) وهو المفكر الأول في هذه الأمة، أن تكرار مصطلح «الشريعة» يكسبه مصداقية وشيوعًا في الأوساط العلمية المتخصصة، مع أن هذا المصطلح إنساني بامتياز؛ لأن الخلافات الكثيرة للمذاهب تبين أن الشريعة ليست واحدة، وإنما كثيرة ومتعددة بكثرة وتعدد الفقهاء على مر العصور، أما قوله: «كونية»؛ أي أن مخلوقات الله التي لا عقل لها من الكواكب والنجوم والأنعام والأشجار وكل شيء مما خلقه الله سبحانه وتعالى مسخر لله ولا ينازعه في هذا الأمر شيء، والصحيح هو القول بـ (قانون الكون)، أو الكون كله يسبح لله طاعة والتزامًا بأوامره سبحانه، ولا نقول شريعة كونية لأن الشريعة إنسانية تخص الإنسان، لأنه صاحب عقل وتكليف وحساب وفي الآخرة إما الجنة وإما النار، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب 72).

الناموس الكوني:

وقد أقر (سيد قطب) أن الإنسان: «خاضع من ناحية كيانه الجسمي للناموس الطبيعي الذي سنَّه الله له -رضي أم أبى- ... شأنه في هذا شأن هذا الوجود الكوني، وكل ما فيه وكل من فيه، في الخضوع المطلق لمشيئة الله وقدره وناموسه» (ص 98، 99).

ولكن (سيد قطب) يلبس على الناس جميعًا وعلى رب العالمين فيقول: «وما من كلمة من كلمات الله، ولا أمر ولا نهي، ولا وعد ولا وعيد، ولا تشريع ولا توجيه ... إلا هي شطر من الناموس العام» (ص99) لأن الناموس العام يحكم ولا يكلف، وفرق بين الحكم والتكليف، لأن الأول جبري وتسخيري وليس من الأمانة التي عرضها الله على مخلوقاته، لذا فإن التكليف هو الأمانة التي قبلها الإنسان؛ إنه كان ظلومًا جهولًا، فهل أدرك (سيد قطب) المعنى أم أنه ملتوٍ عليه؟

أما التناسق بين حياة البشر وتكليفات الله له وحركة الكون المسخر لخدمة الإنسان، فإن حكمة العزيز العليم تستوعب هذا، فلم يكلف الإنسان إلا في حدود استطاعته، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة 286)، وقال أيضًا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾(الطلاق 7)، وقال أيضًا: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ﴾ (المؤمنون 62)، والناموس لا تخيير فيه؛ فالشمس لا تخير أن تشرق أو لا تشرق، والقمر لا يخير أن يظهر أو لا يظهر، والإنسان لا يخير أن يظل شابًّا أو أن يمرض

ويموت، هذه قوانين الله تعالى في خلقه، قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾ (الأعراف 54)، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾ (النحل 12) وقال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ (يس 40).

أما العمل بشرع الله من أمر ونهي للإنسان فإما أن يعمل وإما ألا يعمل، فالشرع تكليف، وعلى الإنسان إما أن يؤمن وإما ألا يؤمن، يسلم أو لا يسلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾ (النساء 137) هذا هو دين الله الذي أنزل على محمد ﷺ، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ (الكهف 29)، وهكذا كل دين جاء ليعرف الناس بكيفية عبادة الله سبحانه، فمن الناس من يؤمن ومن الناس من يكفر، وإلا لما أرسل الرسل ولا الأنبياء؛ لأن طبيعة الدين وتعريفه وكنهه تكليف وليس تسخيرًا ، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ (الإسراء 15).

التلبيس في أظهر صوره ، إذ قال (سيد قطب): « ومقابل شريعة الله هو أهواء البشر ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾...(المؤمنون 71) هل العلم يعد من أهواء البشر؟ وهل البشر يتدخلون في صياغة القانون أو الناموس الكوني؟ إن تفسير الآية يشير إلى البرهنة على وحدانية الله وليس أكثر من ذلك، أما «ضرورة المطابقة بين هذا الناموس العام و(الشريعة) التي تنظم حياة بني الإنسان» (ص103)، فهذا أمر لا يتحقق لأنه مختلف عليه، ولأن الإنسان بطبيعته مختلف عن كل

مخلوقات الله -كالشمس والقمر والمعادن وغيرها من المجسمات، فالإنسان إرادة وعقل وهوى؛ لذا فهو مكلف ولم يكن أبدًا مسخرًا.

ولو كان الأمر هكذا لكان الناس جميعًا أمة واحدة مهتدين، ولكن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ (المائدة 48) وقال أيضًا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأنعام 35)، والقرآن يرد على (سيد قطب) فيما ادعاه.

والأدلة على وحدانية الله تعالى وتفرده بخلق الكون كثيرة، لكنها تستند إلى الوقائع المحسوسة، كالشمس والقمر والنجوم والإنسان وغير ذلك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة 258)، أما هداية الناس إلى طريق الحق فإن الله تعالى يقول: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (البقرة 272) وقال أيضًا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾. (القصص 56).

القضية الثامنة

الإسلام هو الحضارة

المجتمعات عند (سيد قطب) نوعان لا ثالث لهما:

«مجتمع إسلامي، ومجتمع جاهلي»(ص105).

وكأن الدنيا ليس فيها إلا إيمان وكفرٌ، الإيمان عام والكفر عام وليس بينهما دَخَلٌ، المجتمعات التي تحاول الاقتراب من الإسلام وأخرى تحاول الدخول في الكفر، لا مكان لها عنده، المجتمعات إما أبيض وإما لا أبيض وليس هناك ألوان أخرى، وهذا تصنيف يخرج من أي معنى للعلمية والإنصاف أو المعقولية، وتلك هي المصيبة الكبرى عند (سيد قطب) وحوارييه وجماعته.

المجتمع الإسلامي:

«هو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام ..عقيدة وعبادة» (ص105) ولكن (سيد قطب) لا يكفيه العقيدة ولا العبادة، رغم أن النبي ﷺ يكفيه هذا ، لكن النبي الجديد (سيد قطب) يضيف وصفًا آخر للمجتمع المسلم عنده: «شريعة ونظامًا، وخلقًا وسلوكًا» (ص105)، ألم تحتوِ العقيدة والعبادة كلًّا من الأخلاق والسلوك؟

والمشكل الأعظم أن أحدًا من الباحثين لم يقدم للقارئ نظامًا إسلاميًا محددًا للمجتمع، والمتوقع أن يكون الإسلام بعقيدته وعبادته - كافيًا فقط للإجابة عن سؤال حول ما هو نظام المجتمع المسلم- إذ العقيدة والعبادة كافيتان لأي مجتمع على أن يعلن أنه إسلامي، ولا يحتاج لأي أوصاف أخرى مثل التي قال عنها (سيد قطب) .

ثم يضيف (سيد قطب): «ليس المجتمع الإسلامي هو الذي يضم ناسًا ممن يسمون أنفسهم مسلمين ... وإن صلى وصام وحجَّ البيت الحرام» (ص 105) والمتنبئ الجديد (سيد قطب) لا يكفيه أن يقول الناس إنهم مسلمون، خلافًا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ (النساء 94) وقال أسامة بن زيد: «استغفر لي يا رسول الله»، فردَّ عليه النبي حزينًا: قتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله، كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله؟! فقال أسامة: يا رسول الله إنما تعوذ من القتل، فقال له الرسول: **هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفًا أم لا؟!** وظل النبي يردد أمامه وهو حزين: أقتلت رجلًا يقول لا إله إلا الله؟ حتى قال أسامة: وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ. ثم استغفر له المصطفى ﷺ وأمره بعتق رقبة». (صحيح البخاري، باب المغازي، رقم 4021).

وحدث مثل هذا الموقف مع خالد بن الوليد وكان الرجل يبارزه بسيفه وعندما تمكن منه خالد قال الرجل: لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولكن خالدًا أجهز عليه بسيفه.. وقد غضب عليه النبي ﷺ غضبًا شديدًا، وقال

خالد: يا رسـول الله قالهـا لينقذ روحه ولو تمكن مني لقتلني. فقال الرسـول ﷺ: «**هلا شـقـقت عن قلبـه؟!**» لتكون قاعدة ذهبية: لا تفتشوا في ضمائر الناس وقلوبهـم ولكن احكموا عليهم بأفعالهم وأقوالهم واتركوا الضمائر والقلوب لله. (صحيح البخاري، باب المغازي، رقم 4093).

فوقت الحرب لم يسـمح الله ورسوله بانتهاك حرمة النفس الإنسانية دون حـق، بغـض النظر عـن الدين أو اللـون أو الجنس كـما حـرم انتهاكها وقت السـلم وفي كل الأحـوال، وجعـل قتل نفـس واحدة مسـاويًا لقتـل الناس جميعًـا على الأرض كـما في قوله تعـالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة 32).

ويبـيِّن (سـيد قطـب) مفهـوم (الشريعـة) فيقـول: «ولا بد أن نبـادر فنبين أن التشريـع لا ينحـصر فقط في الأحـكام القانونية، كما هو المفهـوم الضيق في الأذهان اليوم لكلمة الشريعة، فالتصورات ..والمناهج ..والقيم.. والموازين.. والعـادات.. كلهـا تشريـع، يخضـع الأفـراد لضغطـه، وحين يصنـع الناس – بعضهـم لبعض– هذه الضغوط، ويخضـع لها البعض الآخر منهم في المجتمع، لا يكون هذا المجتمع متحررًا، إنما هو مجتمع بعضه أرباب وبعضه عبيد – ومن ثم– مجتمع متخلف.. أو (بالمصطلح الإسلامي) مجتمع جاهلي»(ص108).

وهنا يتبين لنا أن مفهوم (الشريعة) ملفق وكاذب عند (سيد قطب) لأنه:

تشريع أحكام قانونية إنسـانية وليس شرعًا إلهيًّا، كما ذكر في مواضع عدة بكتابه.

إنـه يدعـي أن هـذا مفهوم ضيـق للشريعـة؛ لأنه أضـاف أشـياء لا صلة لها بالتشريـع، مثـل (التصـورات) ولسـنا نعلم مـاذا يقصـد بهـذه التصورات؟ أو (المناهـج) وهـي كثيرة ولا نعلـم أي المناهج يقصد؟ و(القيـم) و (الموازين) و(العـادات) وجميعهـا قيم اجتماعية وليسـت قانونية، لا ننكر أن الإسـلام جاء ليتمم مـكارم الأخلاق وليس مبتدعًا لها؛ لأن القيم الإنسـانية موجودة بوجود الإنسان في كتابات وأقوال المصلحين والرسل والأنبياء قبل بعثة النبي العظيم.

افـتراء بغير حق أن القيـم والموازين والعادات من صنع أفراد وضد أفراد آخريـن في ذات المجتمـع، بحيـث يخضع أفـراد لآخرين، ولكـن المجتمع له نظامـه وتقاليده التي يخضع أفراده لهـا، وقديماً قالوا: إن العدالة عمياء لا تميز أفرادًا عن الآخرين.

المجتمـع المتحضر كما يصوره (سيد قطب): « هو المجتمع الإسـلامي - بصفتـه تلك - هـو وحده المجتمع المتحضر ... لأن حضارة الإنسـان تقتضي قاعدة أساسـية من التحرر الحقيقي الكامل للإنسـان، ومـن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع »(ص106).

الحريـة:

غابـت الحرية عـن أرض الإسـلام مـع أننـا مسـلمون، في حـين تنعـم المجتمعـات الغربيـة بقـدر كبـير من الحريـة رغم أنهـم غير مسـلمين، لأنها التزمت سياسيًّا بما يعرف بالعقد الاجتماعي (Socail Contract) الذي وضع آلياتـه كل مـن (جون لـوك 1704) و(جان جاك رسـو 1778) الذي حقق الحرية للغربيين بعيدًا عن الكنيسـة ورجالها، فهل يسـتطيع المسلمون بدينهم

العظيم أن ينعموا بالحرية كما نعم بها الأجناس الأخرى في بلادهم؟ وقد مارس المسلمون المهاجرون الحرية في هذه البلاد، ولم تتحقق لهم في بلادهم المسلمة، وعلى المسلمين أن يستعيروا من القوانين والدساتير ما هم في حاجة إليه في بلادهم، ولا يتركوا أنصاف المثقفين والمتعلمين أن يدعونا في مفترق الطريق بين الإسلام - وهم لا يفهمونه - وبين العلم الذي فقدناه يوم أن رحل عنا (ابن رشد) و(محمد عبده) وغيرهما.

لأن أمثال (سيد قطب) تصوروا أن: « المجتمع الإسلامي هو وحده الذي يهيمن عليه إله واحد، ويخرج فيه الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، وبذلك يتحررون التحرر الحقيقي الكامل» (ص108) وقد احتوت على أكثر من زيف نعددها فيما يلي:

الزيف الأول: أن الحرية هي البند الأول لكل اعتقاد إسلامي أو سواه، وليس العكس، فأنا حر أولًا ثم أعتقد بالله وأعبده بعد ذلك، لذا فشهادة أن (لا إله) إعلان بالحرية، ثم إقرار (إلا الله) بوجوده سبحانه.

الزيف الثاني: أن كثيرًا من المسلمين الأوائل كانوا عبيدًا بالمعنى الحرفي لأناس غلاظ، وهم في الحقيقة أحرار في نفوسهم؛ لأن حرية الإنسان تختلف عن حرية الحيوان، وقد شرع للمسلمين «تحرير رقبة» في كثير من المواقف.

الزيف الثالث: أن الحرية بالمعنى الشامل حرية الإنسان داخليًا وخارجيًا؛ أي أن يفكر ويحلم ويتخيل ويعتقد بحرية، ويعمل وينتقل ويتصرف في كل مناحي الحياة بحرية ما دام لم يعطل حرية الآخرين، إذ الحرية لا تقف عند الاعتقاد فقط، وقد قال عبد الناصر: «إن حرية تذكرة الانتخاب في حرية

رغيف الخبز» وهذه الحرية السياسية التي لم يعلم عنها (سيد قطب) قيمتها ولا معناها .

«المجتمع الإسلامي وحده هو المجتمع الذي تعتبر فيه العقيدة هي الجنسية التي تجمع بين الأسود والأبيض والأحمر والأصفر والعربي والرومي والفارسي والحبشي وسائر أجناس الأرض في أمة واحدة، ربها الله، وعبوديتها له وحده، والأكرم هو الأتقى، والكل فيها أنداد، يلتقون على أمر شرعه الله لهم، ولم يشرعه أحد من العباد » (ص109).

أنا أتفق مع (سيد قطب) على أن المسلمين جميعًا ربهم واحد، والمعبود هو الله الواحد، والأكرم هو الأتقى، وكلهم أنداد، المشرِّع هو الله وحده لا شريك له، ولكني أختلف على أمور كثيرة، منها:

1- الفرق شديد بين العقيدة والجنسية، لأن العقيدة إلهية، والجنسية إنسانية وسياسية، واتفاق بين البشر، والعقيدة منزَّلة من رب البشر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ...﴾ (المائدة 33) الأرض: عامة الأرض، أي ينفوا من على سطح الأرض؛ أي يلقوا في الفضاء، أو جزء من الأرض، في مكان معزول كالسجن أو النفي الذي اصطلح عليه سياسيًّا، وهذه عقوبة قررها ربنا في قرآنه.

2- الأمة الواحدة لا تتعارض مع الوطنية أو القومية أو الدولة بالمعنى الحديث؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (النحل 120) فالأمة تقال على فرد وعلى جماعة.

3- عدَّد (سيد قطب) الألوان والقوميات والأجناس على أنهم جميعًا يدينون بالإسلام، وهذا حق، لكن ماذا عن الأسود والأبيض والعربي والعجمي والرومي والفارسي وهم موجودون حتى قيام الساعة؛ لأنهم شعوب وقبائل متعددون بأجناسهم وأشكالهم حتى يتعرف الناس بعضهم إلى بعض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ...﴾ (الحجرات 13) ولم يقل شعبًا واحدًا، وجنسًا واحدًا، وقومًا واحدًا؛ لأنها طبيعة البشر هكذا، مختلفون في اللون والجنس والقومية والوطنية.

الأسرة عند (سيد قطب):

«تقوم الأسرة على أساس (التخصص) بين الزوجين في العمل، وتكون رعاية الجيل الناشئ هي أهم وظائف الأسرة ... وحين تتخلى المرأة عن وظيفتها الأساسية في رعاية الجيل الجديد ...حين تنفق طاقتها في الإنتاج المادي وصناعة الأدوات ولا تنفقها في صناعة الإنسانية ...يكون هنا التخلف الحضاري» (ص112).

الأسرة تقوم على أساس التخصص كما يقول (سيد قطب)، فما دور كل منهما؟ وهل هذا التخصص محكوم بعدم تجاوزه، بحيث إذا تخاذل عضو عن مهامه يحاسب ويؤاخذ على ما اقترفه؟ وما بال النساء العائلات لأسرهن؟ إن قضايا الأسرة والمرأة والرجل كثيرة جدًّا تحتاج إلى معالجة علمية متخصصة، لا يرقى الأديب لمستواها العلمي حين ينظر لها، ويفتي بحقها دون دراسة ولا تأهيل، وإذا كان التخصص حاكمًا فليلتزم صاحب التخصص بتخصصه

أولًا، فالأديب والشاعر والناقد والمهندس والطبيب وغيرهم كل ملتزم بتخصصه.

إذا كانت أهم وظيفة للأسرة هي رعاية الجيل الجديد فكيف يقصرها على المرأة دون الرجل؟ ولماذا المرأة هي المسئولة عن التخلف الحضاري دون الرجل، أليس الرجل قوامًا في الأسرة؟ فالمرأة والرجل يتقاسمان المسئولية عن رعاية النشء الجديد، وشريكان في الإنتاج المادي وصناعة الأدوات، بما أمدهما الله من العقل والحكمة، بلا تمايز بينهما ، فالحجج القديمة التي تحط من إمكانات المرأة أثبت العلم الحديث أنها من الجهالة بمكان .

والتاريخ يؤكد أن المرأة شريك فاعل في الحياة والحضارة وتقدم الإنسان، إذا أطلق سراحها تعمل أعمال الرجال وقد تفوقهم، وتاريخ النساء في الأمم السابقة يثبت ذلك ، فحكمة ملكة سبأ في اليمن، ودهاء ملكات الفراعين في مصر، والوصية التي سجلها التاريخ لامرأة عربية لابنتها ليلة زفافها لعريسها شاهد حي لعبقرية المرأة على مر العصور، وخذ من نساء حول رسول الله موعظة، فالسيدة عائشة ﵂ فقيهة ومحدثة، وقد سبقتها السيدة خديجة في مجال التجارة، ويشهد التاريخ أن نساء المسلمين كانت لهن مواقع ومشاهد في الحروب جنبًا إلى جنب صفوف الرجال، وقد اختص القرآن مكانًا للمرأة في سوره كالنساء ومريم وسبأ والمجادلة، ولم تخل سورة من القرآن من الحديث في قضية تخص المرأة من قريب أو من بعيد، فقد نحتاج لمتخصصين في كل علم ليفتحوا معاملهم ومخابرهم ويحدثونا بحديث العلم عن قضايا المرأة .

وعندما يحمل (سيد قطب) المرأة كل مظاهر التخلف والانحراف الأخلاقي والعلاقات الجنسية غير الشرعية، قائلًا: « أما حين تكون العلاقات الجنسية بين الجنسين (الحرة كما يسمونها) والنسل (غير الشرعي)...وحين تصبح وظيفة المرأة هي الزينة والغواية والفتنة ... يكون هنا التخلف الحضاري ... الجاهلية بالمصطلح الإسلامي» (ص112).

رؤية عاجزة مضللة للمجتمعات ، لا تعتمد التحليل العلمي للظواهر الاجتماعية، ولا تدرك طبيعة المجتمع ، فتفسير الظواهر علميًّا نرجعها إلى عدة أسباب، ولا قيمة للسبب أو العلة الواحدة، ومشكلة المجتمع المصري الآن في جهالة المنظِّرين وفساد العلماء الذين يصدرون أحكامًا متعجلة على مواقف مرتبكة ومتداخلة في حياة المصريين، فالعلم الآن ينظر للمجتمع الإنساني بوصفه مجتمعًا متداخلًا والحلول يجب أن تكون بقوانين شبكية، فجريمة الزنا جريمة إنسانية لا يخلو مجتمع منها، مهما كان حضاريًّا أو متخلفًا، زراعيًّا أو صناعيًّا، في المدينة أو الريف أو الصحراء، وأصحاب الرايات الحمر معروفون قبل زمن النبوة، وقد نزلت آية الحجاب حتى تفرق العفيفات من النساء عن العاهرات في المدينة، والجريمة لها طرفان: رجل وامرأة، والعقوبة كما قررها رب العزة قائلًا: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ ... ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ ﴾ (النور الآيتان 2، 3) هذا عدل الله تعالى لا عدلكم، فالانحراف الأخلاقي يساءل عنه الرجل والمرأة سواء .

القضية التاسعة
التصور الإسلامي والثقافة

العبودية والحاكمية أصل الثقافة عند (سيد قطب):

من الطبيعي في تصور (سيد قطب) أن يبدأ الحديث عن الثقافة بما يناسب المتحدث عن العبودية حتى يبشر بثقافة العبيد، وكان عليه أن يبدأ من الحرية؛ فالكلمات متناسبة بين الثقافة والحرية، أما الثقافة والعبودية فلا تناسب بينهما أصلًا، قال (سيد قطب): «العبودية والاعتقاد والشعائر والحاكمية لها علاقة بالثقافة» (ص123)، ويكرر تلك المصطلحات كثيرًا وهي خاطئة حتى يلتبس علينا المعنى الصحيح لها (العبودية والحاكمية والشريعة).

ويجب علينا أن نفصِّل الحديث عنهما فيما بعد .

أولًا: الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية:

يقول (سيد قطب): «الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأصول التي تقوم عليها تتمثل فيها العبودية الكاملة لله وحده»(ص124).

1- إذا كانت الأوضاع السياسية تمثل العبودية الكاملة لله وحده وكان هذا الوصف صحيحًا، فحرب الجمل وحرب صفين ومذبحة كربلاء

وغيرها حروب دينية بين صحابة رسول الله ﷺ والمبشرين بالجنة من المسلمين الأوائل، تمثل وضعًا لما يراه (سيد قطب) للعبودية لله وحده، أي عقل يصدق أو يقول هذا الكلام إلا عقل خرف؟! إن الإسلام وضع مبادئ عامة في الحرب والسلام والمعاهدات والاتفاقات وغير ذلك، ولم يضع نظامًا بعينه يسمى النظام الإسلامي، هل العبودية لله تعالى تتمثل في النظام الملكي أو في النظام الجمهوري؟ هل العبودية لله تعالى تتمثل في النظام الطبقي أو الديمقراطي؟ هل العبودية لله تعالى تتمثل في النظام العسكري أو المدني؟ وأي نظام يروق للإخوان و(سيد قطب) تتحقق العبودية فيه لله تعالى؟

2- والأوضاع الاجتماعية التي تصورها (سيد قطب) وكأنها ثورة غيرت المجتمع تمامًا، ألم تكن السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ زوجة أبي العاص بن الربيع- ولم يفرق بينهما - تمثلًا للعبودية لله؟ بل تقدمت «زينب» بفداء لزوجها المأسورعند أبيها في غزوة بدرحتى يعود لها وهو كافر؛ وذلك قبل نزول آية سورة الممتحنة التي تفرق بين الزوجين إذا كان أحدهما مؤمنًا والآخر كافرًا.. فهل فهم (سيد قطب) ذلك، وأن رسول الله ﷺ قال «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» ولم يقل ينشئها، إشارة إلى الأمم السابقة التي قد أسهمت برصيد ضخم في تطور الأخلاق الإنسانية؟ والأوضاع الاجتماعية تشهد تطورًا مستمرًّا قبل نزول القرآن وبعده حتى قيام الساعة، فلا يدعي أحد أن تطور المجتمعات توقف في لحظة أبدًا، لأن توقف التطور يعني أن الحياة توقفت أيضًا.

3- والأوضاع الاقتصادية التي ادعى (سيد قطب) أنها تمثل العبودية لله، هل ادعى أحد أنه يطلع على علم الله، فيعرف من الفقير ومن الغني حتى يقول إن هذا تمثل للعبودية لله تعالى؟! وكذلك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، إذ يقول تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (النجم الآيتان 39، 40). فالنظريات الاقتصادية يوجد في القرآن والسنة تدعيم لها وإن اختلفت، فالعدالة الاجتماعية في الأمم الفقيرة التي انتشرت فيها الاشتراكية والشيوعية نجد من آيات القرآن والسنة الكريمة تدعيماً لها، والأمم الغنية وبلاد السوق الحرة حيث انتشرت الرأسمالية الحرة ونظرياتها نجد في القرآن والسنة مؤشرات على صلاحيتها، وهكذا فالقرآن حمال أوجه، وعلى المسلمين توظيف آياته حسب ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولا حرج في ذلك أبدًا، وما ادعاه (سيد قطب) أوهام وضلالات .

ثانيًا: النشاط الفني:

والنشاط الفني عند (سيد قطب): « هو تعبير إنساني عن تصورات الإنسان وانفعالاته واستجاباته ، (وتعبير) عن صورة الوجود والحياة في نفس إنسانية.. وهذه كلها يحكمها -بل ينشئها -في النفس المسلمة تصورها الإسلامي بشموله لكل جوانب الكون والنفس والحياة، وعلاقتها بباريء الكون والنفس والحياة، وبتصورها خاصة لحقيقة هذا الإنسان ومركزه في الكون وغاية وجوده ووظيفته وقيم حياته، وكلها متضمنة في التصور الإسلامي.. ومصدره الرباني» (ص125).

والنشاط الفني الذي تصوره (سيد قطب) يعاند الفن بصورته الآن، من شعر وموسيقى ومسرح وسينما، بحيث لا مكان لهذه الفنون أصلًا، وإذا كان ذلك ممكنًا في ادعاء (سيد قطب) فأي فن يسمح لنا به؟ صحيح أن المنحرفين كثر، فهل وجود المنحرف سبب في إزالة الطريق؟ والعلاج بالبتر أم بالتداوي أجدى؟ وكثير من النقاد لا يدركون هدف الفنان وعبقريته، لكنهم يقيِّمونه بناء على قناعاتهم ، والأدهى والأمرُّ أن يُقيَّم العمل الفني بمقياس أخلاقي مع أنه عمل فني تصوري وليس عملًا واقعيًّا يحاسب المرء على فعله، وقد يعرض الفنان لحياة داعر فهل يحاسب الفنان بفعل الدعارة بالسجن أو بالجلد، وإذا صور يحاسب بالسجن والجلد على التصوير؟ وفي النهاية لا يكون الفن فنًّا ولا الحياة حياة ولا النفس نفسًا ولا الإله إلهًا، لأن عطاء الفنان يقربنا لله سبحانه، ويجب أن يترك الفنان لإبداعه حتى نشعربالمصدر الرباني، فالفنان بجماله وروعته وانطلاقاته في الفضاء الجميل يسبح بحمد الله شعرًا ونثرًا وموسيقى، وكل شيء في عطاء الله مكفول ولا حرج عليه ما لم ترتكب أو تمارس المحرمات.

ثالثًا: النشاط الفكري:

والنشاط الفكري عند (سيد قطب): «وضرورة رد هذا النشاط إلى التصور الإسلامي ومصدره الرباني تحقيقًا للعبودية الكاملة لله وحده» (ص125).

النشاط الفكري الآن تتناوله علوم كثيرة كالأدب وعلوم اللغة وعلوم الشعر والسينما وغيرها من العلوم، والعلوم لها أصول، والجاهل بها لا يمارسها حتى ولو كان موهوبًا، والعلوم النظرية والتطبيقية أيضًا لها أصول لا تتعداها، وهكذا كل نشاط فكري له علم يجب تعلمه، والفهلوة لا مكان

لها الآن في دنيا العلم والفكر والفن والإبداع، وهنا يمكن أن يكون الإنسان عابدًا لله وحده، وليس كما يزعم (سيد قطب)، وهؤلاء جميعًا خلقهم الله تعالى أحرارًا يبدعون ما شاءوا، ويعبرون عن أنفسهم وعن حياتهم وتطلعاتهم بحرية لا يسلبها منهم حتى ولو أخطئوا، فإن الله أكرمهم بمدد من عنده، وسيقبلهم ربهم ويعفو عن كثير .

والمعول الأساسي في النشاط الفني والفكري مرهون بما أعلنه (سيد قطب) بقوله: «هذه هي القضية التي تقتضي منا بيانًا كاملًا، لأنها قد تكون بالقياس إلى قراء هذا البيان – حتى المسلمين منهم الذين يرون حتمية رد الحاكمية والتشريع لله وحده – غريبة أو غير مطروقة»(ص126).

وهنا يعلن (سيد قطب) الدليل الذي اعتمد عليه من أول سطر لآخر سطر في كتابه هذا، وهو (الحاكمية) التي يتذرع بها مرة أو مرتين أو أكثر من ذلك في كل صفحة، وقد بينا من قبل أنها كلمة حق يقصد بها الضلال على حد قول سيدنا علي كرم الله وجهه، وما نطقها إلا الخوارج من أمة النبي محمد ﷺ وكررها (سيد قطب)لأنه من خوارج هذا الزمان .

رابعًا: التعليم:

التعليم الذي يثق به (سيد قطب) يجب أن يكون مصدره مسلمًا فيقول: «إن المسلم لا يملك أن يتلقى في أمر يختص بحقائق (العقيدة) أو (التصور العام للوجود) أو يختص (بالعبادة) أو يختص (بالخلق والسلوك) و(القيم والموازين) أو يختص (بالمبادئ والأصول في النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي) أو بحركة (التاريخ الإنساني) – إلا من ذلك المصدر الرباني

ولا يتلقى في هذا كله إلا عن مسلم يشق في دينه وتقواه ومزاولته لعقيدته في واقع الحياة» (ص126).

1- إذا كان التعليم بخصوص العقيدة الإسلامية والعبادات فمصدره مدرس مسلم، ولا عيب في ذلك، ولكن المسلم الرباني، فالإسلام وحده لا يكفي وإنما يكون ربانيًّا، ولست أظن أن الرباني صفة يحصل عليها إلا من اختاره الله واصطفاه حتى يكون ربانيا، وهذا مقام صوفي لا يناله إلا الخلص، لذا فهذه الصفة بشكلها ورسمها إشارة للأهل والعشيرة من الإخوان فقط، فالمعلم إخواني والمتعلم إخواني، وغير ذلك لا مكان له للتعليم أو التعلم عنهم .

2- أما التصور العام للوجود فالعلوم التي تتناول ذلك لا علاقة لها بالإسلام أو غيره ، فالكفاءة وليس الدين المصدر المعتمد لتدريس هذه العلوم .

3- الخلق والسلوك إذا كانا يخصان الدين فليدرسهما المتخصصون في الدين أما إذا كانت الأخلاق العامة والسلوك العام فالمتخصص فقط وليس الدين أصلا في تدريس هذه العلوم، وهكذا تدرس القيم والموازين، والنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي، والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم، لأن التخصص هو المقياس هنا وليس الدين.

4- أما حصر عملية التعليم للمسلم دون غيره، فليس ذلك من هدي النبي ﷺ، فالمعلمون الأول في زمن النبي ﷺ من أسرى المشركين في غزوة بدر، والمترجمون للعربية من وإلى اللغات الأخرى في الحضارة العربية والإسلامية أغلبهم من اليهود والنصارى، وجميع العلوم غير علوم

الدين الأصل في تدريسها من اليهود والمسيحيين، فالرحلة التي رجع منها (سيد قطب) بائسًا مهمومًا كانت لأمريكا، ولسبب أو آخر تحول إلى عدو للإنسانية والحضارة الغربية بكل معنى الكلمة، ولو كان (سيد قطب) امتلك عقلًا واعيًا لرجع يحمل من العلوم ما حمل الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي والشيخ محمد عبده والدكتور طه حسين وغيرهم كثير، لكن عجزه عن الإلمام بعلوم العصر تحول إلى مزيف معانٍ وعبارات يضحك بها على البسطاء والمغفلين من دهماء الشعب باسم الدين، وما للدين من هذا الهراء من نصيب .

5- وأما «العلوم البحتة كالكيمياء والطبيعة والأحياء والفلك والطب والصناعة والزراعة وطرق الإدارة ... وطرق الحرب والقتال ... فيملك أن يتلقى في هذا كله عن المسلم وغير المسلم... لأنها من الأمور الداخلة في قول رسول الله ﷺ: **(أنتم أعلم بأمور دنياكم)**» (ص126، 127).

و(سيد قطب) يتوهم أنه ليس في الأرض سواه يملك العقل والحيلة ، مما يسمح له أن يتحايل على أصحاب العلوم البحتة والكيمياء والطبيعة وعلوم الحرب والقتال بعقله الفذ ليأخذ من علمهم ما يشاء انتهازًا في ظلمة الليل ويهرب، وهم في غفلة لا عقل عندهم ولا إدراك رغم أنهم أصحاب علم وفطنة وحيلة طورت هذه العلوم وأضافت لها الكثير، ثم يأتي (سيد قطب) ويفعل فيهم الأفاعيل، ويستغلهم أبشع استغلال، والغريب أن الرجل يسجل هذا على نفسه فى كتاب منشور لكل قارئ يعرف اللغة العربية أو يترجمها، فماذا تسمي هذا؛ إلا غياب العقل والمعقولية؟!

ولا أظن - والغرب هكذا- أنه في القريب العاجل سيكون للعالم العربي والإسلامي مكان تقدم فيه أبحاث التكنولوجيا والاتصالات والفضاء والطاقة والطب الحديث، لأن هذه العلوم من صنع الأوروبيين ولغتهم، فماذا يصنع (سيد قطب) بأوهامه في ذلك العصر؟ والأجدى أن يلملم أوراقه ورفاقه ويرحل عن دنيانا، وقد بان زيفه وتهافت مدعاه.

الثقافة تعادي الثقافة:

يقول(سيد قطب): «إن اتجاهات (الفلسفة) بجملتها، واتجاهات (تفسير التاريخ) بجملتها، واتجاهات (علم النفس)بجملتها ... ومباحث (الأخلاق)بجملتها، واتجاهات دراسة (الأديان المقارنة) بجملتها، واتجاهات (التفسيرات والمذاهب الاجتماعية) بجملتها ... إن هذه الاتجاهات كلها من الفكر الجاهلي -أي غير الإسلامي - قديمًا حديثًا، متأثرة تأثيرًا مباشرًا بتصورات اعتقادية جاهلية» (ص127، 128).

إذا كانت الفلسفة والتاريخ وعلم النفس والأخلاق ومقارنة الأديان والاجتماع كلها من العلوم الجاهلية، فما بال الفن والأدب والشعر وكل علوم الإنسان؟ لا بد أن تكون جاهلية كذلك، فلو أدرك (سيد قطب) أن علم المنطق يدرس لطلاب الأزهر لعظيم قدره، ولو عرف أن جُلَّ علم أصول الفقه وأحكامه تبنى على أساس المنطق فلا يستغنى عنه، وعلم الأصول الذي يستعرض العقيدة ويؤصلها هو علم فلسفي خالص، والفقه الأكبر هو علم الكلام لو كانوا يفقهون، ولو فقد الإنسان رؤيته للتاريخ وإحساسه به لفقد آدميته التي يتباهى بها على خلق الله جميعًا لأن له تاريخًا، ومتى كان علم النفس أو

الاجتماع إسلاميًا؟ فالحقيقة أن النظريات النفسية والاجتماعية المعترف بها حتى الآن إنتاج غربي ولا علاقة للإسلاميين بها، إلا أن يعالجوا نفسيًّا أو اجتماعيًّا فقط في مراكز ومشافٍ أسسها الأوربيون، ودراسة الأخلاق، والتمييز بينها وبين الطبع، ودراسة المذاهب الأخلاقية وبيان الفطري منها والمكتسب وأصول التربية هل هذه تعد جاهلية؟ فأين العلم والعلوم إذن؟ ألم يعلم (سيد قطب) أن مقارنة الأديان علم يدرسه طلاب علوم الدين الإسلامي ومتخصصوه بما يؤهلهم للحديث مع الناس، سواء مسلمون أو غيرهم، فالثقافة التي تجعل الإنسان إنسانًا حقيقيًّا وتشكل ثقافته، يبدو أن بينها وبين (سيد قطب) عداوة، والإنسان عدو ما يجهل، وهذا هو مكمن الخطر لـ(سيد قطب) والإخوان، فهذا الكتاب: التجهيل هدفه، واللاعلم غايته، والانكفاء تحت الأقدام مآله.

الثقافة تعادي العلم:

«إن حكاية أن الثقافة تراث إنساني لا وطن له ولا جنس ولا دين، هي حكاية صحيحة عندما تتعلق بالعلوم البحتة وتطبيقاتها العملية، دون أن تجاوز هذه المنطقة إلى التفسيرات الفلسفية»(ص128، 129).

لو قرأ (سيد قطب) كتاب «سارتون» (تاريخ العلم) لأدرك أن كل النظريات العلمية بدأت من طرح فلسفي أو سؤال فلسفي، ولو قرأ كتاب الله وتمعن في آياته لأدرك أن الحوار والتساؤل لا يمكن إلا أن يكونا حوارًا فلسفيًّا أو تساؤلات فلسفية يجيب عنها ربّ العزة في القرآن، فكيف نستبعد الفلسفة عن القرآن؟ وكيف نفهم القرآن دون التصور الفلسفي؟ وكيف نفهم الرياضة دون التصور الفلسفي؟

والتاريخ الذي لم يقرأه (سيد قطب) ولم يتعلم منه شيئًا فبات جاهلًا فيه: «يكفي أن تعلم أن الاتجاه التجريبي الذي قامت عليه الحضارة الصناعية الأوربية الحاضرة لم ينشأ ابتداء في أوربا وإنما نشأ في الجامعات الإسلامية في الأندلس والمشرق»(ص129).

إذا كان (سيد قطب) أقر أن أوربا استفادت من الحضارة الإسلامية في الاتجاه التجريبي ، فكيف يصفها بالجهالة بعد ذلك؟ فبينما قال إن العلوم البحتة لا وطن ولا جنس ولا دين لها عندما يتحدث عن العلوم البحتة، يعلن في نفس المكان عكس ذلك: « أصبح نتاج الفكر الأوربي شأنه شأن الفكر الجاهلي في جميع الأزمان في جميع البقاع» (ص130).

والعلم الأوربي كان مقبولًا عند (سيد قطب) حتى : «تجاوزت الداروينية مثلاً مجال إثبات المشاهدات وترتيبها في علم الأحياء بغير دليل وبغير حاجة... وأصبحت معادية في الوقت ذاته عداء أصيلًا للتصور الإسلامي» (ص128-130)، و(سيد قطب) يعترض على داروين علميًّا لأنه لم يتوقف عند المشاهدات وترتيبها إلى «التفسير العلمي» الذي يفسر النظرية أو القانون أو المصطلح العلمي لقراء العلم فيما بعد، ويسمى هذا التفسير العلمي «فلسفة العلم» وهذا علم تعلمناه في كليات الآداب، ورغم أن داروين عليه أن يفسر ذلك الترتيب وإلا فلن يكون عالمًا، لكن عند (سيد قطب) هذا التجاوز أخرج علم الأحياء وغيره من العلوم من دائرة العلم إلى الجهالة.

ويستمر (سيد قطب) في عدائه للعلم والفكر الغربي فيقول: «وإذا تقرر أن مناهج الفكر الغربي ونتاج هذا الفكر- في كل حقول المعرفة- يقومان ابتداء

على أساس تلك الرواسب المسممة بالعداء لأصل التصور الديني جملة، فإن تلـك المناهـج وهذا النتاج أشـد عداء للتصور الإسـلامي خاصة»(135). والرجـل هكـذا يسـتبعد كل منجزات الحضـارة الغربية، وكنـت أتصور أن يعـزف عن اسـتخدام المطابع والطائرات والأدويـة وكل شيء أنتجته المعرفة الغربية حتى يكون متسـقًا مع ما زعم من قبـل: «إن حكاية فصل العلم عن صاحـب العلم لا يعرفها الإسـلام » (ص130). لكن هذا عداء على الورق ورسم صور في الخيال حتى يَفْتِنَ البسطاء عن دينهم الصحيح، فيلبس عليهم الكذب والضلال ويكرره على أسماعهم وأبصارهم ليتوهموا أنه الحق وما له في الحق من نصيب، فاحذر وتنبه لما يعرض عليك، فالمسلم كيس فطن.

القضية العاشرة
جنسية المسلم وعقيدته

سيد قطب يبشر الإنسانية بدين جديد:

إذ يزعم أنه: «جاء الإسلام إلى البشرية بتصور جديد لحقيقة الروابط والوشائج ... جاء الإسلام ليرد الإنسان إلى ربه... جاء يقرر أن هناك وشيجة واحدة تربط الناس في الله فإذا انبتّت هذه الوشيجة فلا صلة ولا عودة» (ص136).

أليس الإسلام مكملًا لما سبق من الأديان؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل 36)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء 25)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (آل عمران 81)، وقول الرسول ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»؟ ودعوة الرسل جميعًا للإسلام؛ فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ

﴿يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ (آل عمران 67)، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ (البقرة: 131، 132)، وقال أيضا: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة 126).

هل دعا آدم والنبيون قبل محمد ﷺ ودين الإسلام لغير الله؟ فكيف أن الإسلام كما يزعم (سيد قطب) هو الوحيد الذي يرد الإنسان إلى الله؟ وأي رابطة (وشيجة) انفرد بها الإسلام إذا انبتت فلا صلة ولا عودة إلى الله سبحانه وتعالى؟ وكأن الإسلام على حرف إذا انهار ينهار الإنسان معه مع أن الله تعالى يقول لعبده: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (ق 16).

دعوة عدوانية:

1- للأسرة:

الغريب أنه يستخدم الآيات التي يشم منها أنها تعادي كل أصناف البشر ولا ينظر للمعنى الحقيقي وهل هذه الآيات تحذيرية أو تقريرية، فالأسرة كما يدعي (سيد قطب) عدو للإنسان لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة 22)، فيقول (سيد قطب): «ليست قرابة المسلم لأبيه وأمه وأخيه وزوجه وعشيرته، ما لم تنعقد الآصرة

الأولى في الخالق فتتصل من ثم بالرحم» (ص138)، ولم يدر (سيد قطب) أن هذه الآية تدعو للنقاش والمجادلة والحوار والإقناع قبل الاستبعاد والمعاداة، وهل فهم (سيد قطب) معنى الأسرة في الإسلام؟

والمسلم له أن يتزوج كتابية وتظل على دينها، وعليه أن يساعدها في إقامة شعائر دينها بحرية كاملة، هذا هو الدين الذي عرفناه واعتنقناه، فكيف تدلس علينا ديننا يا (سيد قطب)؟ لا سامحك الله؟!

فالإسلام في نظر (سيد قطب) ليس: «ميلادًا في أرض عليها لافتة إسلامية وعنوان إسلامي ولا وراثة مولود في بيت أبواه مسلمان»(ص144). إذن يا كل أطفال وشباب المسلمين لستم على دين الإسلام إلا إذا تخلصتم من الأسرة بكاملها واستبدلتم بها شيئًا لا نعلمه لأن (سيد قطب) هو الذي يعلمه وحده، فلا قيمة للأسرة المسلمة، ولا لأرض مسلمة، إلا إذا كانت على دين (سيد قطب) وأعوانه.

هكذا يفرق الإخوان بين المسلمين على توهم غريب، ويستشهد على ذلك بالآية القرآنية ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء 65)، فأسباب نزول هذه الآية بعيدة كل البعد عن الغرض من استخدامها عند (سيد قطب)، والتفسير أيضًا مختلف، فهذا الرجل يوهم الناس بمعانٍ لا أصل لها لآيات القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة، وإذا كان النبي ﷺ يستشار في أمر ديني فلنا أن نسمع ونطيع، أما إذا كان أمرًا دنيويًا من حرب واقتصاد واجتماع وسياسة وغيرها، فالمشورة «**أنتم أعلم بشئون دنياكم**» فالمتخصص فقط الذي يُسمع لكلماته.

2- للحزب السياسي:

كان الصحابة مختلفين فيما بينهم في تصورهم للحق في الفروع، ونشأت الفرق والمذاهب الفقهية نتيجة هذا الاختلاف في شئون الدين، وفي السياسة نختلف، فلكل حزب وجهته الخاصة، والأحزاب السياسية من طبعها الاختلاف وليس العداء والحرب، أما عند (سيد قطب) فيحول هذا الاختلاف إلى حرب على أنها دين فيقول: «إن هناك حزبًا واحدًا لله لا يتعدد وأحزابًا أخرى كلها للشيطان وللطاغوت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء 76)» (ص136).

3- لنظام الحكم السياسي:

«إن هناك نظامًا واحدًا هو النظام الإسلامي وما عداه من النظم فهو جاهلية: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾... (المائدة 50)» (ص137) النظام السياسي يخضع لظروف المجتمع ولا يكون واحدًا أبدًا لأن المجتمع الفقير غير المجتمع الغني والمجتمع المتعلم غير المجتمع الذي يحتوي على نسبة للأمية كبيرة والمجتمع المتحضر غير المجتمع النامي أو المتخلف، فلكل مجتمع نظام حكم يناسبه، ولم نعرف نظام الحكم في المجتمع الإسلامي على حد قول (سيد قطب).

4- للدولة:

«إن هناك دارًا واحدة هي دار الإسلام تلك التي تقوم فيها الدولة المسلمة ... وما عداها فهو دار حرب، علاقة المسلم بها إما القتال وإما المهادنة على

عهـد أمـان، ولكنها ليسـت دار سـلام ولا ولاء بـين أهلها وبين المسـلمين» (ص137).

ومنذ قيام الأمم المتحدة سـنة 1946 بعد فشل عصبة الأمم سنة 1920، أصبحت المؤسسات العالمية لحفظ السلام وإنهاء الحرب بين دول العالم مفعلة، ولم يعـد هناك ما يعرف بدار حرب ودار سـلام، فكل الدول أعضاء في هذه المنظمة العالمية، فالجمعية العامة فيها كل دول العالم الحر والمستقل والمحكمة الدولية ومجلس الأمن والمنظمة العالمية لحقوق الإنسـان واليونسـكو للتنمية والثقافة وغيرها من مؤسسـات دولية ترعى الأمن والحدود والثقافة والآثار إلى حـد كبـير، وعيب على أمثال (سـيد قطـب) أن يلوح بمثل هـذه الأفكار وينسبها للإسلام والإسلام منها براء.

5- للجيش:

واحدة من مؤسسات الدولة الحديثة مسئولة عن القتال والدفاع، والجنود والضباط مؤهلون لكي يباشروا هذه المهمة، والمهمة العسكرية لا يدخل فيها نـشر ديـن الدولة أو ثقافتها، وإنما الجيش يوظف سياسـيًّا فقـط، وتلك مهمة الجيوش تاريخيًّا منذ الفراعنة حتى الآن، ولوكانت جيوش المسـلمين الأوائل تقـوم عـلى قناعة شـخصية بـين المحاربين من المسـلمين، فإن هـذا النمط من الجيوش لا يصلح الآن، فإن قال (سـيد قطب): «إن النصر تحت راية العقيدة دون سـائر الرايـات، والجهـاد لنـصرة ديـن الله وشريعتـه لا لأي هـدف من الأهداف، والذياد عن دار الإسـلام»(ص144) - فالحروب الدينية لا مكان لها الآن فالمسـلمون منتشرون في كل دول العالم، وكذلك سـائر الديانات، ولم

يسمح أن يعتدى على أي إنسان مهما كانت عقيدته أو دينه، وذلك تنفيذًا لقول الله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة 32)، فالإسلام وضح القاعدة الإنسانية للعالم، فكيف يروج (سيد قطب) للإرهاب الدولي باسم الدين الإسلامي؟ وأي دار للإسلام الآن والملكية الشخصية تراعى عالميًا، كما راعاها الإسلام من قبل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة 42)؟ فالحكم بين الناس بالعدل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء 58) .

6- للوطن:

مصر التي استُشهد من أجلها كثير من الشهداء على مدى العصور وخاصة 1954-1956-1967، وحرب الاستنزاف وحرب 1973، أليست مصر وطنًا للمصريين؟ ومصر الحضارة والتاريخ ألا تصلح لأن تكون وطنًا للمصريين؟ ومصر التي فتحها عمرو بن العاص أليست وطنًا للمصريين؟ مصر التي علمت الدنيا معنى الحياة والحب أليست وطنًا للمصريين؟ إن مصر علمت المسلمين في كل بقاع الدنيا معنى الإسلام من خلال الأزهر الشريف أليست وطنًا للمصريين؟ إن التاريخ يشهد أن اليهودية المصرية لها طعم وتصور مصري خالص، وأن المسيحية المصرية أو الكنيسة المصرية

تختلف عن غيرها لأنها مصرية، وأن الإسلام وقد أخذ في مصر إطارًا وشكلًا وقيمًا يشهد العالم كله أن الإسلام المصري هو الإسلام الصحيح .

ورغم ذلك نرى (سيد قطب) يقول: «الوطن دار يحكمها عقيدة ومنهاج حياة وشريعة من الله، هذا هو معنى الوطن اللائق بالإنسان» (ص145)، وهكذا فإن مصر في نظر (سيد قطب) ليست وطنًا يليق بالإنسان لأن بها شركاء في الدم والوطن والتاريخ والمستقبل من المسلمين والمسيحيين واليهود، وينفي (سيد قطب) عن اليهود والمسيحيين صفة الإنسانية، وهذا من أكبر الكبائر فعن رسول الله ﷺ أنه قال: « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، وأي وطن يليق بالمصريين بتاريخهم وحضارتهم وعلمهم وذوقهم وفنهم إلا مصر، رغم أنف الحاقد والشامت من أمثال (سيد قطب)؟

7- للإنسانية كلها:

إعلان الحرب على الإنسانية كلها ما لم يكونوا مثل ما أراد (سيد قطب)، وهو يفسر آيات القرآن على هواه ومن تصوراته؛ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال 72)، يقول (سيد قطب) في تفسيرها: «بهذه النصاعة الكاملة وبهذا الجزم القاطع جاء الإسلام ليرفع الإنسان ويخلصه من وشائج الأرض والطين ومن وشائج اللحم والدم وهي من وشائج

الأرض والطين، فلا وطن للمسلم إلا الذي تقام فيه شريعة الله»(ص138).

مع أن هذه الآية وما بعدها تتحدث عن أشياء لا علاقة لها بجنسية المسلم وإنما الحديث عن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فيما يملكون بعد هجرة النبي ﷺ وتوزيع غنائم القتال بينهم، والآية منسوخة بآيات الميراث، والأحاديث الصحيحة تبين ذلك، (تفسير ابن كثير، المجلد السابع، مؤسسة قرطبة، سنة2000م، ص127-129 تفسير آية 72 من الأنفال - وصحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب ذوات الأرحام، رقم 6747 - وصحيح مسلم برقم 1731).

ولكن (سيد قطب) يشعل النار في الأمة كلها على أساس حادث معين هو (الهجرة النبوية). وتغيرت الأوضاع، فالمسلمون بعد ذلك أصبحوا مواطنين يملكون أرضًا ومساكنَ وغيرها من ممتلكات تغير معها حال المهاجرين والأنصار إلى أحوال أخرى يتواءم الإسلام الصحيح معها لأنه إنساني وحضاري، إلا إذا كان لـ(سيد قطب) دين آخر غير الإسلام يدعو إلى عداء الناس أجمعين ما لم يكونوا مع الإخوان ويسبحون بـ (سيد قطب) ولي نعمتهم.

وهكذا تحول الاختلاف السياسي عند (سيد قطب) وأمثاله إلى خلاف في الدين، فإما أن تقبل آراء المتمترس بالدين وإما أصبحت كافرًا وعلى الجميع قتالك، وهذا هو المعنى الحقيقي للثورة على حكم الإخوان لأنهم شكلوا (كنيسة إسلامية) تحكم بأمر المرشد الموكل عن الله، فالشريعة الإنسانية تحولت إلى شرع الله، والشرعية - لأنها تضم حروف الشرع في تصور (سيد قطب) والإخوان - ليست من صنع البشر، فالشرعية نظام قانوني للحكم في

كل دول العـالم، فهـي في مصر كما هي في الولايـات المتحدة الأمريكية كما هي في روسيا وغيرها من البلدان لا فرق بين مسلم وكافر، فالشرعية لا دين لها.

مفهوم الجنسـيـة:

الجنسـية بشـكل عام تعني تلك الرابطـة القانونية والسياسـية القائمة بين الفرد والدولة بحيث يصبح الفرد بموجبها أحد سـكانها، وقد عرفتها محكمة العـدل الدوليـة بأنهـا علاقة قانونيـة تقوم على أسـاس رابطـة اجتماعية وعلى تضامن في المعيشـة والمصالح والمشـاعر. وتم الاعتراف دوليًّا بحق كل إنسان أن يتمتـع بجنسـية دولة ما وذلـك بالنص في معاهدة جنيـف 1930 على هذا الحـق، وكذلك في المـادة 15 فقرة أولى مـن الإعلان العالمي لحقوق الإنسـان لسنة 1948، حيث نصت على:

(1) لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

(2) لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفًا أو إنكار حقه في تغييرها.

والجنسـية تبنـى على نوعين من الأسـس؛ فهناك الأسـس الأصليـة، التي بتوفرها تمنح للشخص الجنسية الأصلية بمجرد ولادته، وهذه الأسس هي:

1 - حق أو رابطة الدم بين شخص يتلقى الجنسية وشخص آخر يتمتع أصلًا بها، والمقصود به هو حق الفرد في اكتساب جنسية الدولة التي ينتمي إليها آباؤه بمجرد الميلاد، ولذلك سميت بجنسية النسب ويعول عليها عادة بالنسب في الأب ولا يكون للأم دور إلا عندما يكون الأب غير معروف أو عديم الجنسية.

2- حق الإقليم أو حق الميلاد، وهذا يعني أن الشخص الذي يولد في إقليم معين يكتسب جنسية هذا الإقليم بغض النظر عن جنسية أبويه، ويقوم على أساس الصلة التي تربط الفرد بالإقليم دون النظر إلى الأصل الذي ينحدر منه المولود.

العقيدة:

العقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتنقه، ويرادفها الاعتقاد، والمعتقد، وجميعها عقائد، وهي «ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل، أي اعتقد الرجل كذا بقلبه، وليس له معقود؛ أي عقد رأي، وفي الحديث أن رجلاً كان يبايع وفي عقيدته ضعف؛ أي في رأيه ونظره في مصالح نفسه» (ابن منظور، لسان العرب، طبع دار المعارف، القاهرة). ويطلق في الدين على ما يؤمن به الإنسان ويعتقده كوجود الله وبعثة الرسل والعقاب والثواب وغيرها، والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة، وهي النية التي يعتقدها الإنسان فيما يظهره باللسان من الإيمان، ولذلك قيل الإيمان أمانة ولا دين لمن لا أمانة له ... والتعبير عن الإيمان الديني باللسان أو العبادات أو الطاعات. قارن المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، 1982، ج1ص186، ج 2 ص92).

والآية الحاكمة لعلاقة المسلم حتى تتحقق له التقوى قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة 177)، وفي تفسير هذه الآية قال ابن كثير: «قال الثوري: (ولكن البر من آمن بالله ... الآية) هذه أنواع البر كلها. وصدق - رحمه الله - فإن من اتصف بهذه الآية فقد دخل عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله» (تفسير ابن كثير، المجلد الثاني، مؤسسة قرطبة، سنة 2000).

ومصطلح (العقيدة) لم يرد في كتب أهل الكلام جميعها وإنما ورد بمعناه وهو (التوحيد) و(الإيمان) وغيرهما، وهو ما يجب على الإنسان أن يؤمن به ويصدقه دون أن يراه؛ يقصد (السمعيات)، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (البقرة 285)، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ (النساء 136)، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإيمان، قال: **أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» (رواه مسلم).

فالجنسية مصطلح سياسي، لا مكان له في آيات القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة، ولا يصح أن يكون مصطلحًا دينيًا بأي شكل من الأشكال، لكن (سيد قطب) في إعلانه عن دينه الجديد جعل الجنسية والعقيدة سواء بسواء فقال: «ولا جنسية للمسلم إلا عقيدته التي تجعله عضوًا في الأمة المسلمة في دار الإسلام ولا قرابة للمسلم إلا تلك التي تنبثق من العقيدة في الله» (ص138).

ويستمر (سيد قطب) في تجهيل الأمة كلها وأن مآلها النار مع الداخلين، وضرب لها مثلًا: «امرأة نوح وامرأة لوط يفرق بينهما وبين زوجيهما حين تفترق العقيدة» (ص141)؛ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ (التحريم 10). و(سيد قطب) يزعم أن معه مفاتيح الجنة يدخل من يشاء في رحمته ويعذب من يشاء، أليس هذا خسرانًا مبينًا تبوأه (سيد قطب) فيما زعم؟ وأين رحمة الله لعباده؟ قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا﴾ (الإسراء 100) وقال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ ... وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف 32).

لا وطن للمسلم:

«منذ ذلك اليوم لم يعد وطن المسلم هو الأرض، وإنما عاد وطنه هو دار الإسلام، الدار التي تسيطر عليها عقيدته وتحكم فيها (شريعة) الله وحدها، الدار التي يأوي إليها ويدافع عنها ويستشهد لحمايتها ومد رقعتها ... والأرض التي لا يهيمن فيها الإسلام ولا تحكم فيها (شريعته) هي دار الحرب بالقياس

إلى المسلم، وإلى الذمي المعاهَد كذلك .. يحاربها المسلم ولو كان فيها مولده وفيها قرابته من النسب وصهره، وفيها أمواله ومنافعه» (ص143).

و(سيد قطب) يعلن الحرب على كل الأوطان، وليس على العقول التي لا تسيطر عليها عقيدة الإخوان، ولا يحكم كما يدعي بشريعة الإخوان، ويعلن أنها دار حرب عند المسلم، حتى لو كان فيها أقاربه وأمواله ومنافعه، هل الحرب على الأرض أم على الإنسان؟ لو كانت الحرب على الأرض لما منع الرسول وصحابته الاعتداء على الشجر والحجر والبهائم وغيرها مما ينفع الناس، وهل الحرب من أجل الحرب أم أنها دفاعية وليست هجومية أم عدوان؟ والإسلام لا يعرف الاستعمار والاحتلال والتوسع (ومد رقعتها) بغير حق كما يفعل الصهاينة في أرض فلسطين، و(سيد قطب) عندما يقول: لا وطن للمسلم «يعني أن كل الأوطان حل ومهدور دمها أمام الإخوان، لأنهم تتار هذا الزمان، لا حرمة لوطن ولا كرامة لعرض ولا قيمة لنسب وصهر وأموال ومنافع، الأوطان مستباحة في نظر (سيد قطب) وعشيرته، فيقول: «هذا هو وحده الإسلام، وهذه هي وحدها دار الإسلام لا الأرض ولا الجنس ولا النسب ولا الصهر ولا القبيلة ولا العشيرة» (ص144)، فكل هذا مستباح كما وصف (سيد قطب).

أعلن (سيد قطب) أن: «الإسلام ليس كلمة تقال باللسان» (ص144)، وأهمل حديث النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة**» وحجية الزواج عند الله تعالى وانفصالها مرهونة بكلمة، وحديث الرسول ﷺ «**وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم**» والشاعر عبد الرحمن الشرقاوي قال:

«الكلمة نور

وبعض الكلمات قبور/

ما دين الله سوى كلمة

ما شرف الرجل سوى كلمة

مفتاح الجنة في كلمة

ودخول النار على كلمة

وقضاء الله هو الكلمة

أتعرف ما معنى الكلمة؟

الكلمة لو تدري حرمة

زاد مذخور...

ويخالف (سيد قطب) رسول الله ﷺ بغير حق إذ قال: «كذلك حارب محمد ﷺ مكة وهي مسقط رأسه وفيها عشيرته وأهله وفيها داره ودور أصحابه وأموالهم التي تركوها، فلم تصبح دار السلام له ولأمته إلا حين دانت للإسلام وطبقت فيها شريعته» (ص143، 144)، ألم يعلم أن القرآن العظيم قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾؟ (الفتح 24)؟ وقد دانت مكة للنبي وأصحابه دون حرب ولا قتال، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ (سورة النصر)، ثم افترى مرة أخرى على رسول الله عندما قال: «وطن المسلم الذي يحن إليه ويدفع عنه ليس قطعة أرض» (ص144)، فمكة

خير البلاد وأحب البلاد إلى الله وإلى رسوله ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال: «**أما والله لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إليّ وأكرمها على الله، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت**» (أبو يعلى 2662، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد 3/ 283).

هكذا تصور (سيد قطب) بعقلية المراهق أنه عندما يقول: «الأمة التي يكون الرعيل الأول فيها أبو بكر العربي وبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي (وإخوانهم الكرام، والتي تتوالى أجيالها على هذا النسق الرائع؛ الجنسية فيها هي العقيدة، والوطن فيها هو دار الإسلام...» (ص 146) وهكذا يجمع سيد قطب رجال الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ مع المنتمين لفرقته من الإخوان؛ لأنهم على هذا النمط من الاعتقاد، وهذا تخريف وعجز كأنه جمع أهل الفضيلة مع الأشقياء كمن يجمع بين السماء والأرض، و يجمع بين التبر والتبن، هل كان لهم من التقوى والورع والفطنة والزهد في الدنيا والشجاعة شيء؟ لا أظن أن ما عهدناه من الإخوان واستغلالهم لحاجة الفقراء وخوف العاجزين وقلة حيلة الجهلاء في نشر أفكارهم المريضة والمتجاوزة للعقل والمعقولية، لدليل على عدائهم لمنهج الرسول ﷺ ولصحابته أبي بكر وبلال وصهيب وسلمان وغيرهم، فالجمع والمقارنة غاية في الظلم والجهالة تميز بها (سيد قطب) وإخوانه.

القضية الحادية عشرة
نقلة بعيدة
«عن الإسلام الذي نعرفه»

قال سيد قطب: « الإسلام لا يعرف أنصاف الحلول مع الجاهلية» (ص149).

(الجاهلية) حالة تاريخية وليست وصفًا دينيًا يتصف به من خالف الدين الإسلامي، فأهل الكتاب لم يوصفوا بالجاهلية، ووصف بعض المسلمين بصفات الجاهلية ، روي عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما - قال: « كنا في غزاة فكسع (ضرب الدبر باليد أو بالرجل) رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: ياللأنصار! وقال المهاجري : ياللمهاجرين! فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«ما بال دعوى الجاهلية»؟!** (البخاري رقم 4905) و(مسلم رقم 2584) ، وحين غضب أبو ذر من بلال، فقال له: حتى أنت يا بن السوداء. فذهب بلال واشتكى إلى رسول الله، فذهب أبو ذر إلى رسول الله يعتذر ويطلب منه أن يستغفر له، فقال له رسول الله : **«أتعيره بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»**، فالجاهلية وصف لأفعال يمكن أن يعملها المسلم أو غيره، ولم تكن حال من أنكر الإسلام دينًا، فكيف يوصف بها من خالف (سيد قطب) فيما زعم؟

و(الجاهلية) هي التي أطلقها (سيد قطب) على من خالفه في الرؤى والتوجه، توطئة لحربهم وقتالهم لأنهم جاهليون ، فـ (سيد قطب) يحل دماءهم وأموالهم مهما كان وضعهم، فآباؤهم وأبناؤهم ونساؤهم وعشيرتهم، لأنهم من الجاهليين، وإذا كان هذا الوصف صحيحًا فلماذا تقاعس عن تطبيقه بهذا الشكل خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ؟

سيد قطب المتنبئ الجديد:

والمتنبئ الجديد قسم الناس إلى صنفين: «إما الإسلام وإما الجاهلية ... إما حكم الله وإما حكم الجاهلية ... فوظيفة الإسلام إذن هي إقصاء الجاهلية من قيادة البشرية» (ص150، 151).

(سيد قطب) هو (نبي) هذا الدين الجديد، وأنه جاء لإبادة البشرية جميعها، إلا من كان على مذهبه أو دينه فقط، وهكذا تحول (سيد قطب) من الدعوة إلى ألوهية تقدم العقوبة قبل إرسال الرسل، في حين أن الله – تعالى – قال: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء 15)، فالدعوة الجديدة تدعو لدين تنفذ فيه العقوبة أولًا على الخارجين عليه، فالدنيا أصبحت دارًا للعقاب وليس للدعوة، وأي إيمان يزعم (سيد قطب) أنه عليه؟ فالحساب أصبح في الدنيا، والجزاء أصبح في الدنيا، والصراط المستقيم لا مكان له عند (سيد قطب)، لأن الإسلام الذي يدعونا إليه (سيد قطب) ليس فيه الجنة ولا النار، وليس فيه الرحمة والمغفرة، وليس فيه الشفاعة لرسول الله ﷺ فأي إسلام ينشره (سيد قطب) ويبشر به ؟!

لو كان الإسلام جاء بحد السيف لآمن من في الأرض جميعًا على يد محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس 99)، ولو كان الإسلام لا يعرف أنصاف الحلول لما كان للإنسان- بعقله وملكاته - مكان في مخلوقات الله ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك 14)، ولكن (الإسلام) الذي يدعو إليه (سيد قطب) ليس الإسلام الذي نعرفه وآمنا به، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران 159)، هذه هي الدعوة إلى الله بعقل رشيد وقلب واعٍ وإنسانية شفافة بهدي إلهي، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل 125).

إن الإنسان مهما أعلن أنه مسلم فإن (سيد قطب) يشك في إسلامه فقال: «إن الناس ليسوا مسلمين كما يدعون ... ليس هذا إسلامًا وليس هؤلاء مسلمين، والدعوة اليوم إنما تقوم لترد هؤلاء إلى الإسلام ولتجعل منهم مسلمين من جديد» (ص158). وكان (سيد قطب) يكرر ما قال (حسن البنا) عندما تخلص من تهمة قتل (أحمد الخازندار): «ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين»؛ لأن الناس مجعولة على تصنيفهم: هذا ليس مسلمًا، وهذا مسلم، مع أن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (النساء 94)، و(سيد قطب) يصر على أن هؤلاء الناس ليسوا مسلمين، وإن (سيد قطب) يردهم إلى الإسلام ردًّا وإلا فالعقوبة جاهزة، إما

بالقتل وإما بالنفي أو بالجزية، والمسلمون عند (سيد قطب) عليهم أن يختاروا أسلوب العقاب، لأنهم ليسوا مسلمين في وجهة نظره .

ماذا فعلت رحلة أمريكا في (سيد قطب)؟

حصل (سيد قطب) على بعثة للولايات المتحدة في 3 نوفمبر 1948م من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج؛ وعاد منها في العشرين من أغسطس سنة 1950، فما الذي جرى له هناك خلال هذه الفترة التي ربما كانت قصيرة ـ أقل من عامين ـ ومع هذا كان لها تأثير عنيف في تغير الرجل وتحوله من مشروع ناقد أدبي إلى منظِّر للتطرف؟!

ومن الحقائق المغلوطة أن (سيد قطب) لم يتعرف على حركة (الإخوان المسلمين) ومؤسسها (حسن البنا) إلا في أمريكا ، لأن (سيد قطب) كان ملء السمع والبصر في المجلات الأدبية ناقدًا معروفًا وكان الإخوان ومؤسسها (حسن البنا) مشهورين كذلك في العمل السياسي، و من المبكيات المضحكات أن الصحف الأمريكية يوم مقتل (حسن البنا) قالت: «اليوم قتل عدو المسيحيين في الشرق الأوسط»، ورأى بعينيه كراهية الغرب للإسلاميين العرب وفرحهم الشديد، مما أثر في نفسية (سيد قطب) وأراد أن يتعرف هذه الحركة عندما يعود إلى بلده، ومن الصعب أن يصدق أحد ما قاله (سيد قطب) من أن الأمريكيين في عام 1949 كانوا مهتمين بالسياسة المصرية لدرجة الابتهاج لمقتل حسن البنا .

ومن المقالات المختلفة عن الحياة في أمريكا التي نشرها (سيد قطب) في الجرائد المصرية مقال بعنوان «أمريكا التي رأيت» يقول فيه: « شعب يبلغ

في عـالم العلـم والعمل قمة النمو والارتقاء بينما هو في عالم الشـعور والسـلوك بُدائـي لم يفـارق مـدارج البشريـة الأولى بـل أقـل مـن بُدائي في بعـض نواحي الشـعور والسـلوك»، والمتأمل لحياة الشـعوب يدرك أنه إلى جوار مراكز العلم والتكنولوجيا وبها أعظم العلماء والباحثين يوجد عشوائيات فيها بسطاء الناس بقيمهم وتصوراتهم للحياة والمستقبل، خلافًا لرؤية العلماء والباحثين ومعاكسًا لهـا، وهذا الأمـر في التدين لأن كتـب التاريخ تقول إن (المدينة) وبها الرسـول الكريـم وأصحابه وسـائر المسـلمين على قيمهـم وأخلاقهم، كان بهـا متعاطو الخمر والعاهرات من النساء وغيرها ممن لهم قيمهم وأخلاقهم التي تخصهم.

وقـد رأى (سـيد قطـب) في أمريـكا مـا جعلـه يهاجـم الحضـارة الغربية ويقـول: «اتخذتُ موقـف المهاجـم للجاهلية الغربيـة .. سواء في معتقداتها الدينيـة المهلهلة أو في أوضاعها الاجتماعيـة والاقتصادية والأخلاقية المؤذية .. هـذه التصورات عن الأقانيم وعن الخطيئة وعن الفداء، وهي لا تسـتقيم في عقل ولا ضمير» (ص160). وهذا القول مرفوض ما دام لم يحاججنا فيه أحد من النـاس، عمـلاً بقـول النبي العـدنان ﷺ: «**لا تصـدقـوا أهـل الكتـاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ...**» .(البخاري رقم 4485).

وقال (سـيد قطب) أيضًا: « وهذه الرأسـمالية باحتكارها ورباها وما فيها من بشـاعة كالحة .. وهـذه الفردية الأثِرة التي ينعـدم معها التكافل إلا تحت مطارق القانون» (ص160).

الرأسـمالية نمـط اقتصـادي لا يخلـو مـن العيـوب وكذلـك الاشـتراكية والشـيوعية، ولكـن ما النظرية التي يناسـبنا تطبيقها في بلادنـا؟ هذا أمر نحن

أحرار في اختياره، ويجب ألا نتحدث عن أمم غيرنا لأن ظروفها غير ظروفنا، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة 141). والحقيقة أن مدعي الإسلام يميلون إلى النظام الرأسمالي الحر، وفيه كل العيوب التي نقضها (سيد قطب)، وبلا خجل يتبجحون بأن الأمريكيين على خطأ وفي خطيئة، فالشركات التي أسسها الإخوان، وهي لا علاقة لها بمصانع تنمي الاقتصاد المصري ولا مزارع تزيد الرقعة المنزرعة في هذا الوطن الحبيب، وإنما حانات في سوق المال والتجارة في كل شيء حتى أدوات الزينة للنساء، وهذا ليس عيبًا، ولكن الاقتصاد الحقيقي الذي يبني الأوطان والأمم يقوم على أساس من الزراعة والصناعة ثم يأتي بعدهما التجارة، والاقتصاد الريعي لا تقوم عليه الدول المحترمة .

والتكافل الذي يقصده (سيد قطب) اتضح أنه سبيل إلى الابتزاز السياسي، ولو كان عملاً يراد به وجه الله لنظمناه بقوانين تحمي الفقراء من الذل والمهانة في انتظار أصحاب الصدقات والمنح من الأغنياء، والعيب كل العيب أن النظام المدعو إسلاميًا يرتكز على الزكاة والصدقات الشخصية التي يراق دم الوجه قبل الماء عرقًا أمام الإعلان عن هذا النظام، فأي نظام هذا وهو ضد الإنسانية وضد الكرامة وضد الحرية التي منحنا الله إياها؟

ويعلن (سيد قطب) عن مشكلته مع الحرية فيقول: «... حرية البهائم التي يسمونها (حرية الاختلاط).. وسوق الرقيق التي يسمونها (حرية المرأة) والسخف والحرج والتكلف المضاد لواقع الحياة في نظم الزواج والطلاق، والتفريق العنصري الحاد الخبيث» (ص160).

حرية البهائم لا تنتج علمًا، والأيام تثبت أن العزل المجتمعي الذي يمارس على المسلمين لا علاقة له بالإسلام، والخوف من الآخر مرض عضال تفشى في المجتمع المسلم على يد الضعفاء والمهووسين، والإنسان عدو جهله، فحرية الاختلاط تبشر بصلاح المجتمع وتفوقه، فالعلوم والفنون والإبداع الذي تجاوز تلك العصور إلى فضاء واسع كبير، والثورة العلمية والتكنولوجية التي يتمتع بها الإنسان في كل مكان – من إنتاج (حرية البهائم) كما يزعم (سيد قطب)، وكان عليه أن يقدم للعالم، كما فعل ابن رشد ومحمد عبده، نسقاً جديدًا للإسلام بعيدًا عن التشدد والانكسار أمام العلم الغربي والأمريكي، وزد على ذلك ثورة الاتصالات والنت وعلوم الطاقة وغيرها من العلوم الجديدة، وجميعها ينسب إلى حرية (البهائم) على وهم (سيد قطب).

أما سوق الرقيق أو (حرية المرأة) فالإسلام الحقيقي منح للمرأة حرية لم يستوعبها بعض الناس حتى الآن، فما زالت المرأة لا ترث بل تورث، وما زال يُهمش دورها ويُنسى عطاؤها وهي مهيضة الجناح عند أهلها وأعدائها سواء بسواء، والغريب أن القضاء الشامخ المصري حتى الآن يعتبر أن المرأة أقل من أن تكون قاضية بين الناس مع أنها هي التي منحت للقاضي الرجل شهادة لكي يحكم، والسيدة عائشة ﵂ أمرنا بأن نأخذ نصف ديننا عنها، وكل ذلك من أعمال المنتسبين إلى الإسلام شكلًا دون فهم ولا علم.

والزواج والطلاق في أمريكا في وصف (سيد قطب): «السخف الحرج والتكلف المضاد لواقع الحياة».

وأنـا أبشر المنظرين للحيـاة الأسرية في عالمنا العربي والإسـلامي أن تغير نظام الأسرة سـوف يلحق بالنمط الغربي مهما تذرعنا بالفقه الإسـلامي دون النظر في المصلحة الإنسانية للأسرة والمرأة وللرجل، وخاصة للطفل المسلم، والعلم الحديث يدور في فلك تغير النظر لعلاقة الزواج والطلاق، وعلينا أن نسـعى لمواءمة أفكارنا ورؤيتنا لصحيح القرآن والسنة النبوية المشرفة، فليس الحـرج إلا لـ(سـيد قطـب) وأتباعه، والتكلف المضاد لواقـع الحياة ، هو من نصيب المتخلفين عن ركب الحياة والحضارة والدين الصحيح .

والخـوض في مسـائل شـخصية لا نرضاه من حياة (سـيد قطـب) ولكن الملاحظ أنه كان ينوي الزواج من أمريكانية وفشـل هذا المشروع لأي سـبب حقيقـي أو مختلـق، ولا نريـد أن نفتـح هذا الملـف الآن، ولكن هـل هذا هو موقف الإخوان الآن من الولايات المتحدة الأمريكية؟ هل المعتقدات الدينية المهلهلـة والأوضـاع الاجتماعيـة والاقتصاديـة والأخلاقيـة المؤذيـة التي لا تسـتقيم مع العقل والضمير، تشجع الإخوان - أتباع (سيد قطب)ومريديه- على أن يسـتنجدوا بها على المصريين سـواء كانوا مسـلمين أو مسـيحيين، في سبيل بقاء كرسي الرئاسة معهم؟

مـاذا فعلـت الأيـام الأمريكية مع (سـيد قطـب) حتى جعلتـه ينتقل من مشروع الناقد الأدبي إلى ملهم لأفكار متطرفة؟ هل كان لأفكار (سيد قطب) علاقة بمن قاموا بهجمات الحادي عشر من سـبتمبر سـنة 2001؟ وكيف تم ذلـك؟ والفـترة الأمريكية في حياة (سـيد قطب) شـهدت التحول الكبير في حياته وأفكاره، فالرجل قبل سـفره كان يعد نفسـه ليصبح ناقدًا أدبيًّا، وبعد

العــودة من أمريكا فوجئ الجميع به داعية إســلاميًّا يجنــح إلى العنف بصورة شديدة الاختلاف عن البدايات .

وفي ذات ليلة استضاف قطب هيبورت - دن (مستشرق بريطاني اعتنق الإسلام) وتحدث إلى قطب عن خطر جماعة الإخوان المسلمين التي تحول دون تحديث العالم الإسلامي. وقال لـ (سيد قطب): إذا ما نجح الإخوان في الوصول إلى الحكم فلن تتقدم مصر أبدًا وستقف عائقًا في وجه الحضارة. وهذا ما حصل، والتاريخ شاهد عليهم والله ورسوله من الشاهدين.

القضية الثانية عشرة

الاستعلاء كفر (وليس إيمانًا)

الاستعلاء في لغة العرب (الزهو، والعجب، والبطر، والادعاء، والغرور) وجميعها يؤدي إلى كفر النعمة، والآية الكريمة التي استخدمها (سيد قطب) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران 139) فتفسير هذه الآية أن الله تعالى قالَ مسليًا للمؤمنين (ولا تهنوا) أي لا تضعفوا بسبب ما جرى «من الهزيمة في موقعة أحد» ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي العاقبة والنصر لكم، أيها المؤمنون .(تفسير ابن كثير) فأين الاستعلاء يا (سيد قطب)؟

ويجعل (سيد قطب) أنصاره في حالة الاستعلاء على الدوام، فيقول: «إنه يمثل الحالة الدائمة التي ينبغي أن يكون عليها شعور المؤمن وتصوره وتقديره للأشياء والأحداث والقيم والأشخاص سواء ... والاستعلاء بالإيمان ليس مجرد عزمة مفردة ولا نخوة دافعة ولا حماسة فائرة إنما هو الاستعلاء القائم على الحق الثابت المركوز في طبيعة الوجود، الحق الباقي وراء منطق القوة وتصور البيئة واصطلاح المجتمع وتعارف الناس لأنه موصول بالله الحي الذي لا

يموت» (ص163، 164) وتغافل (سيد قطب) عن قول الله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة 54) قال أعزة ولم يقل استعلاء على الناس أجمعين، وتغافل أيضًا (سيد قطب) عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء 37) وقال الرسول ﷺ: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم**» (سنن الترمذي 2492)، وقال أيضًا: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**» (رواه مسلم في كتاب الإيمان 131).

الاستعلاء (القائم على الحق):

الإنسان مهما توهم أنه على الحق لا يمكن أن يركن إليه وإلا لما قال أبو بكر رضي الله عنه: «لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة» وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ (النجم 30) وقال أيضًا: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ (النجم 32) إذا كان الحق في الدنيا أملًا وغاية يحاول الإنسان مهما علا قدره وعظمت قيمته الوصول إليه ولا يستطيع، فما بال الآخرة؟ ولا يعلم إنسان ماذا أعد الله له، فكيف يزعم (سيد قطب) أنه على الحق، ويستعلي على الناس بهذا الزعم، أليس هذا خللًا وجنونًا أصاب الرجل في أمريكا وأعلن عنه في مصر بعد الرجوع؟ وعلماء الدين قل أو كثر علمهم يقولون ختامًا لما تصور أنه الحق إن الله أعلم بمراده سبحانه، وعلماء العلوم الطبيعية ملتزمون بالشك فيما اعتقدوا أنه صحيح، وقالوا عنه إنه احتمالي وليس يقينيًا، العمل العمل العمل أولًا والنتيجة عند الله، فاليقين بالله أولًا أحق من اليقين في أنفسنا .

الاستعلاء القائم على منطق القوة:

وهذا استعلاء لا يقوم إلا على العصبية والجاهلية والكبر والاستعلاء بغير الله ولا بحوله وقوته تعالى، وإنما استعلاء بالشيطان على بني الإنسان، ولو كانت الأمة قد استعانت بمنطق القوة ما كان لها في دنيا الحياة من نصيب، فالقوة الضاربة في شباب أهل مكة من المشركين وما بعدها من جيوش الفرس وجيوش الروم، ما كان للنبي وصحبه والمؤمنين معه إلا الاستعانة بالعقل ومنطق الحجة والبيان، أما الغلبة فالله هو الغالب ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال 17)، فالقوة ما كانت بالأعداد والعتاد، وإلا كانت عصابة تستولي على الأموال والأنفس، ولكن القوة بالله تعالى وتوفيقه، قال سهل بن سعد رضي الله عنه: إنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لعلي رضي الله عنه: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النَّعَم**». (رواه البخاري، ومسلم).

هنا استوعبت مقصد الدعاء بعد كل صلاة، أن «يا رب لا تجعل مصيبتنا في ديننا ...» لأن مصيبة الدين هي الكبرى، واهتزاز عقيدة الإنسان يعجل بنهايته، وغاية المستعمر أن يفرق الناس حتى يفعل أفاعيله، وبالدين يستطيع أن يفرق بين الرجل وزوجه والابن وأبيه والصاحب وصاحبه، فتكليف كل من «حسن البنا» و«سيد قطب» وجميع المتعصبين مُدعي العلم والمتاجرين به – أن يفرقوا الناس عن إجماعهم، هو تكليف من قوى معلومة للعرب والمسلمين من قبل، لينعموا في خيراتها ويتوسعوا على حسابها، باستخدام أشخاص من جلدتنا ويتحدثون لغتنا وينتسبون لديننا، وهم في ديار المستعمر موئل يلوذون

به عند الشدائد وانحسار موجاتهم إذا ما حصرت، وذلك طبع المجرمين في كل آن وحين، أليس الغرب مكانًا لهم؟ الغرب الذي يمون ويدعم حملات الإخوان الآن هو كما يزعم (سيد قطب) المتهاوي في الحضيض الخلقي والمتهالك حضاريًّا وعلمه المنحرف والمتخاذل.

هب أننا تجاوبنا مع هؤلاء فيما زعموا، ورفضنا الحضارة بما فيها من العلوم والفنون والآداب، بحجة عدم رضاهم عنها، فالنتيجة أن نعيش في الجاهلية الحقيقية وزمن الكهوف والصحارى، وليس عندنا إلا عقل المرشد، ليقول «إن الله خلقكم أحرارًا» وانعموا بحريتكم فيما أنتم به جاهلون، فلا الدنيا ننعم بها ولا الآخرة لنا فيها نصيب، لذا فالدعاء «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر». اللهم آمين آمين آمين «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

الفهرس


دار نهضة مصر
للنشر

ضلالات الطريق

رؤية ناقدة لكتاب سيد قطب (معالم في الطريق)

في الستينيات من القرن الماضي، قدم لنا سيد قطب المرجع الأهم للإخوان المسلمين كتابه «معالم في الطريق»... ولكن للأسف لم يُنر الكتاب طريقًا ولم يهد خُطى، ولكنه أفرز لنا ما أفرز من عنف وإقصاء وتسلط باسم الدين لدى من اتبعه واتخذه مرجعا.

وتتعجب حينما ترى بعضا من الإخوان وهم يتملصون من فكر سيد قطب واصفين متبعيه منهم بـ «القطبيين» مُدعين انتماءهم لفكر حسن البنا -إمامهم كما يقولون- بينما القارئ والمحلل لما كتب كلا الرجلين، لا يجد بينهما أي فروق في لَيِّ معاني القرآن والسنة لخدمة رؤاهما التي لم تتسبب إلا في نشر مفاهيم مغلوطة ومدسوسة على دين الإسلام؛ الدين الذي كان ومنذ نزول الوحي به، دينا سمحًا وسطيًا مجمّعا لا مُفرّقا.

ومن هنا، تأتي أهمية هذا الكتاب الذي وضعه الدكتور محمد الصباغ لتوضيح كافة القضايا التي تضمنها كتاب سيد قطب - الذي لا يزال مرجعًا للكثير من البسطاء والمغيبين من تلك الجماعة - وليبين لنا كيف كان فكر سيد قطب ضلالات على الطريق لا معالم عليها.

الناشر



